أسطورة الحقوق اليهودية في فلسطين:

قراءة نقدية في مبررات وجود دولة إسرائيل

د. عثمان محمود أحمد عثمان *
E.mail: oothmanq@hotmail.com

* قسم العلوم السياسية - كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية - جامعة النجاح الوطنية

أسطورة الحقوق اليهودية في فلسطين:
قراءة نقدية في مبررات وجود دولة إسرائيل

د. عثمان محمود أحمد عثمان

الملخص :

يهود العالم الحاليين لا يشكلون شعباً مستقلاً ومميزاً وبالتالي فهم ليسوا ساميين ولا يرتبطون عضوياً وتاريخاً بفلسطين، وإنما صلتهم بها روحية وعاطفية. لا يوجد في التوراة ما يدعم مقولة الصهيونية من أن خلق إسرائيل المعاصرة ما هو إلا إعادة بناء لدولة إسرائيل التوراتية، وإنما هناك وعد لها بالدمار والخراب وليس بإعادة البناء من جديد. تعود الأسبقية التاريخية في فلسطين للكنعانيين العرب وليس لليهود الذين كان وجودهم فيها قصيراً وعابراً تم من خلال الغزو والاحتلال بالقوة ولم يستند إلى حقوق طبيعية وتاريخية قائمة على أساس المولد والإقامة الدائمة والحيازة الطويلة والمتواصلة، وبالتالي فإن الوجود اليهودي في فلسطين لا يترتب عليه حقوق ملكية وإقامة دولة يهودية فيها. ولما كانت الحركة الصهيونية تفتقر إلى تقديم تفسير طبيعي وتاريخي غير استعماري لاختلاق إسرائيل، لجأت إلى تزوير الحقائق التاريخية المتعلقة بفلسطين وشعبها، وإلى تأويل النصوص التوراتية وتوظيفها خدمة لأغراضها السياسة، وإلى استخدام اللاسامية والمجازر النازية لتبرير نشأتها (اغتصاب فلسطين) وسياساتها العدوانية التوسعية بحق شعب آخر.

مصطلحات أساسية: أسطورة، الحقوق اليهودية في فلسطين، مبررات، وجود دولة إسرائيل، الصهيونية، الكنعانيون العرب، تزوير الحقائق التاريخية، النصوص التوراتية، اللاسامية

The Myth of the Jewish Rights in Palestine: a Critical Reading of the Justifications for the Existence of the State of Israel

Dr. Othman Mahmood Ahmed Othman

Abstract:

The present Jews of the world do not comprise a distinguished independent people. They are neither Semitic nor organically connected to Palestine. However, their connection with Palestine is only spiritual and sentimental. There is nothing in the Torah that supports the Zionist fallacy that the creation of the present Israel is the reestablishment of the Israel of the Torah. On the contrary, there is a promise of destruction and waste but not reconstruction. The historical priority in Palestine is for the Arab Canaanite but not for the Jews whose presence in Palestine was merely short and temporary through invasion and occupation by force but not according to natural or historical rights based on birth, permanent residence, longstanding and continuous possessing of Palestine. Consequently, the Jewish presence in Palestine does not include rights of ownership and establishment of a Jewish state in it.

Since the Zionist Movement lacks the ability to provide a natural, historical and non-colonial justification to make up Israel, it resorted to forge the historical facts related to Palestine and its people, to interpret the Torah texts in order to serve its political purposes, to exploit anti-Semitism and Nazi genocides to justify its creation in Palestine and its aggressive expansion policies against another nation.

Keywords: Myth of the Jewish Rights, Palestine, justifications for the existence, State of Israel, Zionist fallacy, Arab Canaanite, forge the historical facts, exploit anti-Semitism, Nazi genocides

المقدمة:

تعد القضية الفلسطينية القضية المركزية الأولى للعرب والمسلمين، فهي تفوق في أهميتها بقية الأزمات والصراعات الإقليمية الأخرى التي تعصف بالمنطقة، لا لطول مدة الصراع العربي الإسرائيلي، منذ أكثر من قرن من الزمان، لا بسبب موقع فلسطين الاستراتيجي في قلب العالم العربي فحسب، بل وأيضاً لقداستها عند العرب والمسلمين، ولطبيعة التحالف الصهيوني الغربي والقوى الدولية الأخرى الداعمة لوجود دولة إسرائيل، والمنخرطة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في النزاع العربي الإسرائيلي الذي تجذر بقيام دولة إسرائيل عام 1948 مكان فلسطين التاريخية، ومنذ هذا التاريخ أصبحت هذه الدولة لا تشكل تهديداً لدول المنطقة فحسب، بل أصبحت تشكل مصدراً دائماً لتهديد السلم والأمن الدوليين.

ولا يقل أهمية عما سبق هو ذلك التزوير والتحريف والتشويه منقطع النظير الذي تعرض له تاريخ فلسطين وشعبها وقضيتها من قبل قادة إسرائيل والحركة الصهيونية الذين تمكنوا- في الغرب على الأقل- من خلق رأي عام ووعي جمعي غربي قائم على تقبل دولة إسرائيل المعاصرة باعتبارها «إعادة بناء»[1] لدولة إسرائيل التاريخية، ومن أن يهود العالم الحاليين، ما هم إلا امتداد طبيعي لشعب إسرائيل التوراتية، حتى غدا بشكل عام «مجموع التاريخ الغربي لإسرائيل والإسرائيليين يستند إلى قصص من العهد القديم من صنع الخيال»[2]، بهدف تجريد الفلسطينيين من ماضيهم وأرضهم وطمس تاريخهم وحقهم في فلسطين لصالح دولة إسرائيل[3]. كما ونجحت الدعاية الصهيونية الماضية في إسكات التاريخ الفلسطيني، من خلال ترسيخ (القصة التوراتية عن جالوت وداود) صورة داود في ذهنية المواطن الغربي- كرمز لإسرائيل الديمقراطية والضعيفة المظلومة والمحاطة بدكتاتوريات معادية- داود الذي يستخدم ذكاءه ومهارته في هزيمة عدوه جالوت العربي الظالم والمعتدي، والذي يتسم بضخامة الحجم وكثرة السلاح، ولكنه لا يستخدم عقله فيمنى بالهزيمة[4].

إن تفسير نشوء دولة إسرائيل الحالية، التي انبثقت من رحمها القضية الفلسطينية وأزمة الشرق الأوسط، يستوجب منا الرجوع إلى جذور هذه الدولة في التاريخ الفلسطيني القديم، ودراسة وتحليل المبررات والحجج التي تسوقها الحركة الصهيونية لإقناع العالم بأحقية اليهود في فلسطين.

ولا يتم ذلك من خلال عملية تجميع لأجزاء متناثرة من التاريخ بطريقة سردية، وإنما من خلال اتباع منهجية علمية ناقدة تستند إلى المصادر المنصفة وغير المنحازة بهدف تقديم رؤية علمية وموضوعية متحررة من الهيمنة الصهيونية والتوراتية على كتابة التاريخ الفلسطيني القديم. وللإجابة عن ذلك سنطرح سؤالين أساسيين هما:

1. لمن فلسطين ومن هم أصحابها الحقيقيون؟

2. ما هي المبررات الصهيونية لقيام دولة إسرائيل وكيف يمكن تفنيدها؟

تكمن مشكلة الدراسة في التفسيرات الخاطئة والمضللة التي تقدمها الحركة الصهيونية كمسلمات وحقائق ثابتة لتفسير نشأة دولة إسرائيل.أنصار وأتباع الفكرة الصهيونية من الكتاب والمؤرخين بشكل عام ومن الغربيين بشكل خاص ينطلقون من فرضية أساسية تستند إلى حقوق تاريخية ودينية للوجود

اليهودي في فلسطين وأن دولة إسرائيل نشأت تحقيقاً لنبوءات دينية توراتية وتمثلت بالعودة اليهودية إلى الأرض المقدسة، الأرض التاريخية لليهود (أرض الميعاد، أرض الآباء والأجداد)، الأرض التي وعد الله بها اليهود وذلك إنقاذاً لليهود المضطهدين في كل أنحاء العالم لايوائهم في فلسطين، ليعززوا مبررات مصادر شرعية الدولة اليهودية بالدوافع الأخلاقية والإنسانية.

وبعد صدور وعد بلفور عام 1917 عزز أنصار المشروع الصهيوني فرضية الحقوق الدينية والتاريخية لليهود في فلسطين بالحق القانوني استناداً إلى وعد بلفور وقرار التقسيم وبقية قرارات الأمم المتحدة التي تعترف بدولة إسرائيل.

وعلى النقيض من ذلك تقف الفكرة الثانية التي يمثلها العرب والمسلمون والمتفهمون في الغرب للحقائق التاريخية المتعلقة بالقضية الفلسطينية والمتحررون من الهيمنة الصهيونية على كتابة تاريخ فلسطين القديم، ينطلق هؤلاء من أن قيام دولة إسرائيل، ما هو إلا مشروع استعماري خلقته الدول الاستعمارية الغربية، واستغلت به اليهود من أجل تنفيذه، ليس حباً باليهود ولا تنفيذاً لوعود ربانية أو لأسباب إنسانية، وإنما بهدف تحقيق المصالح الاستعمارية وتجزئة الوطن العربي ومنعه من الوحدة والتطور، وقد استغل فيه الغرب الدين والأخلاق والإنسانية لإخفاء هذه المصالح.

في ضوء ما تقدم تهدف هذه الدراسة إلى الإسهام في دحض هذه المقولات والمبررات الصهيونية من خلال اتباع منهج التحليل التاريخي النقدي لهذه الأفكار والمقولات الصهيونية في الأدبيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وذلك من خلال استعراض الوجود الفلسطيني والإسرائيلي في أرض كنعان ومن ثم تفنيد أهم المبررات التي ترتكز عليها الحركة الصهيونية في تفسير وتبرير نشأة دولة إسرائيل وبدونها يكون من الصعب على المرء فهم العديد من مظاهر هذا الصراع، ولعل أهمها يتمثل بشكل أساسي في أسطورة الحقوق الدينية والتاريخية والأخلاقية لليهود في فلسطين.

الوجود الفلسطيني والإسرائيلي في أرض كنعان:

تعرضت فلسطين لعدة موجات من الهجرات السامية منذ فجر التاريخ، ووفقا للمكتشفات الأثرية في مصر وما بين النهرين فإن أولى هذه الهجرات السامية جرت قبل حوالي خمسة آلاف سنة ق.م. و يعتبر الساميون أقدم الشعوب المعروفة على أرض فلسطين.وفي منتصف الألف الثالث ق.م. حدثت الهجرة السامية الثانية والتي عرفت بالموجة الآمورية- الكنعانية إلى فلسطين وبلاد الشام، حيث استقر الآموريون في الداخل، بينما استقر الكنعانيون في فلسطين والساحل وأعطوا هذه المنطقة اسمهم، فأصبحت تعرف بأرض كنعان، ويجمع المؤرخون على أن الجزيرة العربية كانت المهد الأول لجميع هذه الشعوب السامية[5]. التوراة تقر من جانبها أيضا بأن الكنعانيين هم سكان فلسطين الأصليين وأن الكنعانيين هم الآموريون.

وبعد أن شهد القرن الثالث عشر ق.م تغيراً في القوى السياسية في المنطقة بسبب الحروب والصراعات الكنعانية المصرية المتواصلة، التي أنهكت الكنعانيين وأضعفتهم، تمكن الفلسطينيون[×] وبنو إسرائيل[××] في وقت متزامن[6] من احتلال أجزاء كبيرة من بلاد كنعان. الفلسطينيون القادمون من جزيرة كريت في بحر إيجة قاموا من جانبهم

بمهاجمة بلاد كنعان (فلسطين) من جهة الغرب وسيطروا على الساحل الغربي من الكرمل وحتى الصحراء وأطلقوا اسمهم عليه فأصبح هذا الجزء من أرض كنعان يدعى فلسطين.

أما بنو إسرائيل الذين بدأوا رحلة التيه مع النبي موسى عام 1227 ق.م واستمرت أربعين سنة، تمكنوا بعد وفاة النبي موسى في الأردن من غزو فلسطين من جهة الشرق بقيادة يوشع بن نون، واحتلوا معظم جنوب فلسطين، بعد أن احتلوا أريحا وقتلوا من فيها وأحرقوها [7] سنة 1186ق.م وبذلك تكون أرض كنعان خضعت لسيطرة الأقوام الثلاثة، وبعد قرنين من احتلال أريحا تمكن الملك داود من احتلال يبوس (القدس) واتخذها عاصمة لمملكته (1016ق.م – 976ق.م) ثم تولاها من بعد موته ابنه سليمان (976ق.م 936-ق.م). والمهم هنا أن مملكة داود لم تنشأ من خلال التغلغل السلميPeaceful infiltration)) لا من خلال ثورة داخلية كما تحاول بعض الدراسات الصهيونية الترويج لذلك، وإنما من خلال غزو الأرض(conquest)وبالقوة.

أما العلاقات بين الإسرائيليين والفلسطينيين فقد اتسمت بشكل عام في أغلبها بالصراعات والنزاعات المتواصلة مع بعضهم البعض على السيطرة والنفوذ، وهذه الصراعات ميزت بشكل خاص التاريخ الفلسطيني القديم مع بني إسرائيل، ومن أبرز معاركهم كانت المعركة الأولى التي عرفت بمعركة أفيق (رأس العين) التي انكسر فيها بنو إسرائيل وخسروا ثلاثين ألفاً كما تروي التوراة[8] واستولوا على تابوت العهد[xxx]. وبسبب النزاع الداخلي بين اليهود أنفسهم وتحديداً بين شاول (أول ملوك بني إسرائيل) وبين داود، لجأ الأخير إلى الملك الفلسطيني أخيش ملك جت، طالباً منه الحماية من شاول ومبدياً استعداداً ليقاتل مع الفلسطينيين ضد شاول وأبناء قومه[9]، لكن داود الذي تولى الملك وقيادة الجيش بعد موت شاول انقلب على الفلسطينيين وتمكن من إخضاعهم بالقوة العسكرية تحت سيطرته[10].

أسماء بني إسرائيل وصلتهم بفلسطين:

يطلق على اسم «بني إسرائيل» ثلاثة تسميات أخرى وهي:(العبرانيون أو العبريون) و(الإسرائيليون) و(الموسويون أو قوم موس). وتستعمل هذه التسميات عادة بشكل مغلوط للإشارة على مدلول واحد، على الرغم من اختلاف عصر كل مسمى عن الآخر من حيث اللغة والثقافة والديانة. ولإزالة الغموض واللبس المتعلق بهذه التسميات لا بد من التمييز بين كل واحد منها[11].

1- العبرانيون أو العبريون:

كان مصطلح العبري أو العبراني يطلق في نحو الألف الثاني قبل الميلاد على طائفة من القبائل العربية في شمال الجزيرة العربية وفي بادية الشام وعلى غيرهم من القبائل العربية، حتى صارت كلمة عبري مرادفة لابن البادية أو ابن الصحراء، وبهذا المعنى وردت كلمات «الابري» و«الهبيري» و«الخبيرو» و«العبيرو» في اللوحات المسمارية والفرعونية في مرحلة لم يكن للإسرائيليين ولا للموسويين ولا لليهود أي وجود بعد. ولذلك نعت إبراهيم الخليل في التوراة ب « العبراني » والمقصود بها « العبريون» أو «العبيرو» وهم القبائل البدوية العربية، ومنها القبائل الآرامية العربية التي ينتمي إليها إبراهيم الخليل نفسه، الذي كان يتكلم اللغة الآرامية التي تكلم بها أبناء الجزيرة العربية والكنعانيون والعموريون في فلسطين. وفي حكم التوراة يعتبر العبرانيون غرباء وليسوا من

بني إسرائيل أو من اليهود. فقد ورد في الأحكام التي وضعها موسى أمام أتباعه أنه إذا اشترى الإسرائيلي أي اليهودي، «عبدا عبرانيا فست سنين يخدم وفي السابعة يخرج حرا مجانا»[12]. ومن ثم تقول التوراة أيضا أن العبيد يجب أن يكونوا من غير بني إسرائيل[13].

وفي القرآن الكريم لم يرد مطلقا مصطلح «عبري» أو«عبراني» وإنما هناك ذكر لـ «الإسرائيليين» و «قوم موسى» و«يهود» (الذين هادوا).

ويرجع تاريخ عصر إبراهيم الخليل إلى القرن التاسع عشر ق.م. وهو عصر عربي بحت قائم بذاته وديانته وقوميته ولغته السامية العربية (اللغة الأم) وليس له أية صلة بعصر موسى وقوم موسى الذين ظهروا بعده بسبعمائة عام. ومن هنا من غير المنطقي أن يكون إبراهيم يهوديا أو إسرائيليا أو موسويا أي من أتباع قوم النبي موسى أو نصرانيا. والقرآن الكريم يؤكد على صحة ذلك بقوله تعالى: «يا أهل الكتاب لم تحاجون في إبراهيم وما أنزلت التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون... ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين»[14]. وعندما أقام إبراهيم الخليل في أرض كنعان (فلسطين) وتحديدا في مدينة الخليل التي يعود تاريخ بنائها كما أثبتت الحفريات التاريخية إلى أبعد من العام 3500 ق.م.[15] لم يؤسس له دولة أو أي كيان سياسي فيها. وقبل أن يتحول اسمها إلى الخليل نسبة إلى إبراهيم خليل الله، كانت تدعى قبل قدوم إبراهيم الخليل إليها «قرية أربع» (بلدة الأربعة) نسبة إلى التلال الأربعة التي بناها الكنعانيون عليها، ثم عرفت باسم «حبرون» أو «حبرى». وأثناء وجوده فيها رفض النبي إبراهيم تقبل قطعة الأرض المدفون فيها كهف ماكفيلا (MAKHPELA) كهدية، وأصر على شرائها من صاحبها الحثي عفرون بن صوحار بأربعمائة درهم[16].

2- **الإسرائيليون:**

ينسب الإسرائيليون إلى يعقوب (الملقب بإسرائيل) بن إسحاق بن إبراهيم الخليل. وقد أظهرت الاكتشافات الأخيرة أن كلمة "إسرائيل" كانت اسما لموضع في فلسطين وهي كلمة كنعانية. ولما هاجرت أسرة يعقوب إلى مصر وانضمت إلى يوسف اندمجت في البيئة المصرية وذابت فيها كليا[17]، وبالتالي يكون الدور الذي ظهرت فيه تسمية إسرائيل قد انتهى ليبدأ دور جديد وتسمية جديدة.

3- **الموسويون أو قوم موسى:**

بدأ دورهم بعد دور الإسرائيليين بستمائة سنة تقريبا، ويعتقد الباحثون أن قوم موسى من بقايا الهكسوس وهم مصريون على أرجح الاحتمالات وكانوا يدينون هم والنبي موسى بدين التوحيد الذي ورثوه عن اخناتون، فرعون مصر. وكانوا يتكلمون باللغة المصرية، وهي على الأرجح اللغة الهيروغليفية التي تعلمها موسى في بلاط فرعون ونقل بها الشريعة والوصايا العشر. وبعد أن اضطر قوم موسى في القرن الثالث عشر ق.م. إلى الهرب من مصر والتوجه إلى أرض كنعان (فلسطين)، أخذوا بثقافة الكنعانيين ولغتهم ومن ثم انحرفوا عن ديانة موسى وشريعته، التي لم يعثر على أي أثر لها.

4- **اليهود:**

أطلقت تسمية "يهود" على بقايا جماعة يهوذا الذين سباهم نبوخذ نصر إلى بابل في القرن السادس ق.م.، وذلك نسبة إلى مملكة يهوذا

المنقرضة التي سميت على اسم "يهوذا" أحد أبناء يعقوب "إسرائيل" الاثني عشر عليه السلام. واقتبس اليهود لهجتهم العبرية من الآرامية قبل السبي، وبها دونوا التوراة الحالية في الأسر، في بابل، أي بعد زمن موسى بثمانمائة عام.وهذه التوراة "توراة اليهود" تختلف عن "توراة موسى". وكان هؤلاء اليهود عندما دونوا التوراة استهدفوا تحقيق غرضين أساسيين:

الهدف الأول هو تمجيد تاريخهم وجعل أنفسهم صفوة الأقوام البشرية والشعب المختار الذي اصطفاه الرب على سائر شعوب الأرض. "ولتحقيق ذلك كان لا بد من إرجاع أصلهم إلى أقدس شخصية قديمة، أي شخصية إبراهيم الخليل الذي كان صيته قد عم جميع أرجاء عالمهم في تلك الأزمان. وسردوا تاريخهم حسب أهوائهم...وأضفوا عليه صبغة دينية ليضمنوا تقبله من أتباعهم. وهكذا فقد أرجعوا تاريخهم إلى إبراهيم الخليل وإلى حفيده يعقوب (إسرائيل)، فسموا جماعة موسى ببني إسرائيل رغم كونهم ظهروا بعد إسرائيل بزهاء ستمائة عام... وابتدعوا فكرة الشعب المختار... ثم جعلوا بني إسرائيل الموضوع الرئيس الذي تدور حوله جميع الحوادث الواردة في التوراة. ..وقد اعتبرت وجود بني إسرائيل في عصر إبراهيم الخليل... قبل أن يخلق يعقوب (إسرائيل)!! ... وحتى يهود الخزر الذين اعتنقوا اليهودية في وقت لاحق وهم من أصل تركي وكذلك يهود أوروبا وأميركا ويهود العالم جميعا هم على رأي التوراة نفس أبناء يعقوب الذي عاش قبل 3700 سنة». أما الهدف الثاني الذي ابتدعته التوراة فهو جعل فلسطين وطنهم الأصلي[18]

وبعد موت سليمان انقسمت المملكة إلى مملكتين، مملكة في الشمال ومملكة في الجنوب، المملكة الشمالية عرفت باسم مملكة إسرائيل (931 ق.م – 724ق. م) وكانت عاصمتها شكيم (نابلس) وكان القسم الأكبر من سكانها من عبدة الأوثان وليسوا من اليهود[19]. لقد تعرضت هذه المملكة إلى الاحتلال على يد الأشوريين الذين سبوا قسماً كبيراً من أبنائها، وهو ما عرف باسم» السبي الصغير».

أما المملكة الجنوبية التي عرفت باسم مملكة يهودا[×] (931ق.م – 586ق.م)، وكانت عاصمتها القدس (أورشليم) فقضى عليها البابليون بقيادة نبوخذ نصر، الذي دمر القدس والهيكل وسبى العديد من أبنائها وساقهم إلى بابل، وهذا ما عرف باسم «السبي الكبير»، وبذلك أصبحت فلسطين ولاية كلدانيه (بابلية).

وبعد أن احتل كورش الفارسي بابل عام 533ق.م.أصبحت فلسطين جزءاً من إمبراطوريته، فأمر بإعادة بناء هيكل سليمان وحرر اليهود من العبودية، وسمح لمن أراد منهم بالإقامة في فلسطين، فعاد حوالي 40 ألفاً، بينما فضل أكثرهم البقاء في بابل[20]مما يعني أن الأغلبية فضلت الاندماج الثقافي والقومي الطوعي في موطنها الجديد مع البابليين، ولم تكن تملك ذلك الارتباط المادي والحنين الأبدي الدائم بأرض الميعاد (إسرائيل) التي سبق وأن احتلها قوم موسى عنوة من أصحابها الكنعانيين العرب، ومعلوم أن الاحتلال بحد ذاته لا يمنح المحتل حقوقا قومية وحقوقا في ملكية الأراضي التي يحتلها.

وفي عام (332 ق.م) تمكن الاسكندر المقدوني من إنهاء الحكم الفارسي في فلسطين وبلاد الشام، واستبدله بالحكم اليوناني الذي استمر نحو ثلاثة قرون (332ق.م – 63ق.م) وعندما قام الملك

السلوقي انطوخيوس الرابع(175 ق.م164- ق.م) بتدمير الهيكل من جديد وأجبر اليهود على اعتناق الوثنية الإغريقية وفرض عليهم ثقافة وآداب وحضارة اليونان[21]، انقسم اليهود إلى قسمين، قسم تبنى حضارة اليونان الراقية، وقسم تعصب للديانة والتقاليد اليهودية ورفض تقبل الديانة الوثنية التي حاول اليونانيون فرضها عليهم، ولذا ثاروا لأسباب دينية على اضطهاد اليونان لهم بقيادة العائلة المكابيه عام 167ق.م.، وسرعان ما تحول حكم المكابيين من ثائرين على الظلم والاضطهاد الديني الذي مارسه اليونانيون إلى قوة مضطهدة للشعوب[22]، التي كانت تسكن في فلسطين، وتفرض عليهم بالقوة الدين اليهودي وذلك في الفترة الزمنية ما بين 76-102ق.م.[23]، مما دفع العرب الأنباط الذين كانوا يسيطرون على جنوب فلسطين إلى خوض عدة معارك ضدهم، كانت الغلبة في معظمها للأنباط[24].

نهاية الوجود اليهودي في فلسطين على يد الرومان:

ومع احتلال الرومان بقيادة بومبي فلسطين ودخولهم القدس سنة 63 ق.م. انتهت سيطرة العرب الأنباط واليونانيين واليهود على فلسطين، لكن وبعد أن أعفى الرومان اليهود من عبادة الإمبراطور وخدمة الجيش ومنحوهم الحق في السيطرة على محاكمهم الخاصة، تمردوا عليهم، مما أدى إلى سحق تمردهم عام 70م بقيادة القائد الروماني تيطس، إلا أن القضاء النهائي عليهم الذي أنهى وجودهم المادي وصلتهم التاريخية بفلسطين كلياً كان على يد هدريان عام 135م، والذي منعهم من دخول مدينة القدس أو الاقتراب منها[25]، وأعاد بناءها من جديد وأسماها ايلياكابتولينا.

ومن الجدير ملاحظته في هذا السياق أن الفرضية الصهيونية التي تقول إن اليهود لم يتركوا فلسطين طواعية، وإنما طردوا بالقوة من البابليين والرومان، ولهذا السبب لهم الحق في العودة، تدحضها المعطيات التاريخية. فقبل سقوط مدينة القدس وتدميرها بمدة طويلة كان ثلاثة أرباع اليهود يعيشون خارج فلسطين[26] وذلك لسوء الأوضاع الاقتصادية فيها. إبرهام ليون يؤكد في هذا السياق قائلا «إن تشتت اليهود لم يبدأ ولا في أي حال من الأحوال مع تدمير مدينة القدس. الغالبية العظمى من اليهود كانت قبل هذا الحدث بمئات السنين قد تشتت في جميع اتجاهات السماء ... ولم يكن لجماهير اليهود المبعثرين في الإمبراطورية الإغريقية والرومانية إلا اهتمام ثانوي جدا بالمملكة اليهودية في «أرض الوطن»...وبالتالي فإن المنفى لم يكن قد تم بفعل عمل قسري حدث صدفة. السبب الرئيس يجب أن يبحث عنه في الظروف الجغرافية»[27] المناخية لفلسطين ، وأن أولئك اليهود الذين تركوا فلسطين ظلوا في وطنهم الجديد[28].

وعندما انقسمت الإمبراطورية الرومانية في أواخر القرن الرابع للميلاد إلى إمبراطوريتين شرقية وغربية، خضعت فلسطين لسيطرة الإمبراطورية الرومانية الشرقية البيزنطية (636-395). وفي العهد البيزنطي عمم الرومان الاسم التاريخي فلسطين، الذي كان يطلق على الساحل الغربي من أرض كنعان، على جميع البلاد[29]، فأصبحت بذلك تسمى جميع القبائل والقوميات المختلفة التي كانت تسكن في فلسطين بغض النظر عن دياناتهم وانتماءاتهم العرقية، ب «الفلسطينيين»، وهذا لا يعني

بتاتاً أن جميع سكان فلسطين هم من الفلسطينيين القادمين من جزيرة كريت. ولما انتهى العهد الروماني البيزنطي في القرن السابع الميلادي على يد الفتوحات العربية الإسلامية أصبحت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الدولة العربية الإسلامية.

مبررات نشوء دولة إسرائيل:

يرتكز الخطاب السياسي الصهيوني في تبريره لنشأة دولة إسرائيل المعاصرة عام 1948 على ثلاثة مزاعم أساسية تدعي الحركة الصهيونية ودولة إسرائيل أنها حقوق ثابتة «للشعب اليهودي» في فلسطين وغير قابلة للطعن والتشكيك. وهذه المزاعم هي: أولا أسطورة الحقوق الدينية، وثانيا أسطورة الحقوق التاريخية، وثالثا أسطورة الحقوق الأخلاقية لليهود في فلسطين. وسوف نقوم من جانبنا باستعراض هذه الادعاءات والأساطير أولا، ومن ثم تحليلها لتفنيدها ثانيا.

أسطورة الحقوق الدينية لليهود في فلسطين:

تعتمد الرواية الصهيونية في كتابة تاريخ فلسطين القديم إلى نصوص توراتية من العهد القديم تزعم حق بني إسرائيل لوحدهم في الأرض المقدسة أي فلسطين[30] من أجل إيجاد سند ملكية إلهي لامتلاك الأرض الفلسطينية وبالتالي لتبرير شرعية دولة إسرائيل المعاصرة.وبما أن الحركة الصهيونية تعتبر تجريد السكان الأصليين (الفلسطينيين) من حقوقهم وممتلكاتهم في فلسطين «هدية إلهية» لإسرائيل وأنها أحد أهم الأعمال الإلهية الطيبة[31]، فلا بد إذا من أن تؤخذ منهم. فالحديث هنا لا يتعلق «بغزو» أو «احتلال»، صهيوني لفلسطين، وإنما «بهدية».

من أهم النصوص التوراتية التي يتم الاعتماد عليها لتبرير مقولة «الوعد الإلهي» لليهود في فلسطين هي: أن الله سبحانه وتعالى خاطب إبرام (إبراهيم) وهو واقف على تلة ما في أرض كنعان (فلسطين) قائلاً: «... ارفع عينيك وانظر من الموضع الذي أنت فيه شمالاً وجنوباً وشرقاً وغرباً. لأن جميع الأرض التي أنت ترى، لك أعطيها ولنسلك إلى الأبد»[32].

وفي سفر التكوين أيضاً نجد آية تقول «في ذلك اليوم قطع الرب مع أبرام ميثاقاً قائلا. لنسلك أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات»[33].

وعندما أصبح إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره، تقول التوراة أن الله قطع على نفسه عهداً مع إبراهيم قال له فيه «أما أنا فهوذا عهدي معك وتكون أباً لجمهور من الأمم. وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً . وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بيني وبينك وبين نسلك من بعدك في أجيالهم عهداً أبدياً. ... وأعطيها لك ولنسلك من بعدك أرض غربتك كل أرض كنعان ملكاً أبدياً. وأكون إلههم»[34].

وفي داخل التوراة نجد أن هذه الوعود تكررت أيضاً إلى إسحاق ويعقوب عليهما السلام، فعندما كان يعقوب ذاهباً من بئر السبع إلى حاران،غابت الشمس فنام إلى جانب الطريق، وخاطبه الرب وهو نائم قائلا «أنا الرب إله إبراهيم أبيك وإله إسحاق. الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غرباً وشرقاً وشمالاً وجنوباً، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض»[35].

وفي سفر التثنية تقول التوراة «كل مكان تدوسه بطون أقدامكم يكون لكم، من البرية والنبات، من النهر الكبير نهر الفرات إلى البحر الغربي يكون

تخمكم، لا يقف إنسان في وجهكم، الرب إلهكم يجعل خشيتكم ورعبكم على كل الأرض التي تدوسونها كما كلمكم»[36].

واستناداً إلى هذه الآيات وغيرها من التوراة يردد قادة إسرائيل باستمرار «حقهم الإلهي» بملكية فلسطين لوحدهم باعتبارهم شعب الله المختار، وذلك لتبرير نزع حق ملكية السكان الأصليين العرب بفلسطين. وفي هذا السياق تقول رئيسة وزراء إسرائيل السابقة غولدامئير: «لقد وجدت هذه البلاد باعتبارها تنفيذاً لوعد صادر من الله ذاته، ومن المثير للضحك أن يطلب منه بيانات على شرعية ذلك»[37].

ومن جانبه صرح موشيه دايان ذات يوم «بما أننا نملك التوراة، ونعتبر أنفسنا شعب التوراة، لا بد أن نملك كذلك الأرض التوراتية، وأرض القضاة والحاخامين والقدس والهبرون وأريحا، ومناطق أخرى أيضاً»[38]. وأثناء وجوده في أوسلو صرح أيضاً رئيس وزراء إسرائيل السابق مناحيم بيغن «إن هذه الأرض قد وعدنا بها ولنا الحق عليها»[39].

تفنيد أسطورة الحقوق الدينية لليهود في فلسطين من أجل دحض المزاعم الصهيونية في «الحق الديني» لليهود في ملكية فلسطين استناداً إلى الوعود التوراتية السابقة، نطرح عدة تساؤلات:

1 - لمن أعطيت هذه الوعود الدينية وهل تشمل العرب؟
2 - ما هي حدود هذه الأرض الموعودة؟
3 - هل كانت تلك الوعود مشروطة؟

الكثير من المؤرخين والمؤلفين وأساتذة العهد القديم من اليهود وغيرهم من رجال الكنيسة[40]، فندوا النصوص والنبوءات التوراتية التي تستخدمها الحركة الصهيونية كمبرر ديني لنشأة دولة إسرائيل وأثبتوا أنه لا يوجد في «العهد القديم» ولا في» العهد الجديد» أصل لهذه الوعود الدينية المتمثلة في حق بني إسرائيل لوحدهم في امتلاك الأرض[41].

فالقراءة الموضوعية لهذه الوعود التوراتية تثبت أن المقصود بكلمة «لنسلك» لا تشمل إسحاق وأبناءه (أي اليهود) فقط، كما تدعي الصهيونية، بل تشمل أيضا العرب باعتبارهم من نسل إسماعيل.وفي الوقت الذي تتجاهل فيه الصهيونية وجود إسماعيل الابن الأكبر لإبراهيم وجد العرب، حتى لا تقر لهم بحقوق في فلسطين،لا تنكر التوراة ذلك في سفر التكوين الذي فيه ذكر للقبائل العربية، التي يعتبر إسماعيل جداً لها، وأن الله سوف يجعل من نسل إبراهيم أمة.: «ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح فقالت لإبراهيم اطرد هذه الجارية وابنها. لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق. فقبح جداً في عيني إبراهيم بسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها. لأنه بإسحاق يدعى لك نسل وابن الجارية أيضاً سأجعله أمةً لأنه نسلك»[42].

يمكن تفنيد مقولة «الحجة الدينية» للحركة الصهيونية وإثبات خرافتها استناداً إلى عدة عوامل لعل أهمها:

أولا: أن يهود العالم الحاليين ليسوا ساميين ولا يشكلون أمة مستقلة تنحدر من سلالة إبراهيم: فكون الشخص يهودياً لا يعني بتاتاً أنه من أصل (سامي) وأنه وينحدر من صلب إبراهيم حتى

يشمله هذا الوعد الديني. لقد برهن العديد من مشاهير علماء الدين والأجناس والسلالات[43]، سخف هذا الادعاء وخرافة الجنس اليهودي النقي. لقد توصلوا إلى ذلك استنادا إلى حقيقة اختلاط اليهود مع الأجناس والقوميات الأخرى لأكثر من 2000 عام من التاريخ وذلك من خلال الزيجات المختلطة التي تمت بين اليهود وغير اليهود[44] من ناحية، ومن خلال اعتناق الديانة اليهودية من قبل سلالات وقوميات روسية وقوقازية وغيره من ناحية أخرى. ومن الأمثلة الدامغة التي يمكن تقديمها في هذا السياق لدحض مقولة أن اليهود يشكلون جنسا نقيا(قومية): اعتناق ملك الخزر بولان عام 740م، مع الكثير من نبلائه وأبناء مملكته إضافة إلى يهود مالابار السود والفلاشه الإثيوبيين، للديانة اليهودية. [45]، مما يدلل على أن اليهود لا يشكلون أمة مستقلة متجانسة قوميا. وهذا ما يظهر جلياً في أشكالهم الخارجية المختلفة وفي طبيعتهم البيولوجية وفي لون البشرة والأعين وفي تنوع الموروثات وفي شكل الجبهة والجمجمة وغيرها من المظاهر الدالة على اختلافهم عن أية صفة من صفات الساميين[46].

ومما يدلل أيضا على أن اليهود الحاليين لا يشكلون أمة مستقلة هو عدم انطباق أية نظرية من نظريات القومية[47] على اليهود تمام الانطباق. فاليهود لا يشتركون في أي عنصر من العناصر المكونة للأمة والتي تتمثل بالدرجة الأولى في«وحدة التاريخ المشترك» في أهم صفحاته، وفي «وحدة اللغة»[48] تعدان من أهم مقومات الأمة (القومية) الواحدة، التي تتميز بهما عن غيرها من الأمم. فاللغة تعتبر من أهم الروابط المعنوية التي تربط الفرد بغيره من بني البشر. فيهود العالم الذين يأتون إلى إسرائيل لا يعرفون اللغة العبرية، فهي ليست لغتهم الأم، فهم يتعلمونها كلغة أجنبية.لقد فقدوها قبل أكثر من ألفي عام وتبنوا لغات أوطانهم الأصلية، ومن يفقد لغته يفقد هويته القومية وثقافته وتاريخه المشترك مع أبناء قومه، باعتبار أن اللغة ليست فقط للتخاطب وللتفاهم فقط، بل هي «الوعاء الذي تتشكل به، وتحفظ فيه، وتنتقل بواسطته أفكار الشعب»، وذاكرته وآدابه وتاريخه وفنونه، فاللغة القومية هي «بمنزلة مكمن القلب والروح للأمة»[49]، فبها تتميز الأمم عن بعضها البعض. وإذا حاولنا أيضا تطبيق النظرية الستالينية الماركسية بخصوص الأمة[50] و«تشترط إضافة إلى ما تقدم وجود عنصر «الحياة الاقتصادية المشتركة» لدى أفراد الجماعات البشرية على يهود العالم، وجدنا أن هذا العنصر أيضا غير متوفر عندهم.

في ضوء ما تقدم يتضح لنا أن يهود اليوم ليسوا امتداداً للعبرانيين القدماء، فهم ينحدرون من أعراق وقوميات مختلفة، وبالتالي فهم لا يرتبطون تاريخياً أو عضوياً بفلسطين، وإنما ارتباطهم الوحيد بفلسطين هو ارتباط روحي ديني، لا يقل عنه بتاتا ارتباط المسيحيين والمسلمين بفلسطين.

أما المواطنون الأصليون العرب، مسيحيون ومسلمون، والذين لم يخرجوا من فلسطين إلا عنوة ونتيجة لقيام دولة إسرائيل عام 1948 فهم أكثر التصاقاً وارتباطاً عضويا وتاريخيا بفلسطين من اليهود.

ثانيا: وجود مجموعات دينية يهودية تنكر أي وجود في التوراة للوعد الإلهي ولحق إسرائيل في الوجود

جماعة ناطوري كارتا (Netora Karta) (نواطير المدينة أو حراس المدينة) التي يوجد أغلب

أتباعها في مدينة القدس ولندن ونيويورك لا يعترفون بدولة إسرائيل ولا بالمزاعم الدينية التي ساقتها الحركة الصهيونية لإيجاد مبرر أخلاقي وديني لدولة إسرائيل، فدولة إسرائيل والصهيونية بالنسبة إليهم معادية إلى الدين اليهودي، ولذا فهم يطالبون بإنهاء سلمي لدولة إسرائيل[51].

ثالثا: الادعاءات الدينية ليس لها مرجعية قانونية دولية

القانون الدولي وميثاق هيئة الأمم المتحدة لا يقران لأية مجموعة بشرية أو أمة بالحق القانوني في امتلاك الأرض وقيام الدولة عليها اعتمادا على نصوص وآيات دينية من الكتب المقدسة.

أما بخصوص السؤال الثاني بشأن حدود الأرض، فقد تبين معنا من خلال استعراض الآيات السابقة أن حدود الأرض لم تكن واضحة ومحددة، بل متناقضة ومتضاربة تماماً، فتارة نجد أن الله وعد إسحاق بالأرض التي هو مضطجع عليها، ووعد إبراهيم بالأرض التي يقف عليها، وتارة أخرى نجد أن حدود هذه الأرض قد توسعت وشملت جميع الأرض التي يتمكن إبراهيم من مشاهدتها بالعين المجردة، وتارة ثالثة نجد أنها كما جاءت في سفر التثنية أنها تشمل الأرض من البحر المتوسط غرباً وحتى الفرات شرقاً، ومن النقب جنوباً وحتى لبنان شمالاً، أما إسرائيل في أوسع صورها وحالاتها فإننا نجدها من النيل إلى الفرات. فهذا التناقض في النصوص التوراتية، لا يمكن له أن يكون تنزيلا إلهيا، وإنما عملا من صنع البشر أدخل على التوراة فأفقدها صدقيتها، فلا يجوز الاعتداد بها.

وللإجابة على السؤال الثالث، هل كانت الوعود مشروطة؟ نقول بإيجاز نعم لقد كانت هذه الوعود الربانية مشروطة، ولم يسبق لله أن أعطى وعوداً بالتملك دون شروط، لقد اشترط الله على اليهود الطاعة والاستقامة والالتزام بالوصايا التي نزلت على النبي موسى، وبما أنهم عصوا وارتدوا عن دين الله. أكد الدكتور الفرد غليوم (Alfred Guillaume)، أستاذ دراسات العهد القديم على إلغاء هذه الآيات قائلا أنه بات «من الواضح أن الوعود الإلهية إلى أولئك الأنبياء قد ألغيت بسبب ردة الأمة (اليهود) عن الدين»[52].

والتوراة نفسها تؤكد عصيان اليهود وعدم التزامهم بجميع الوصايا، الأمر الذي ينسف المقولة الصهيونية بوعد الرب في إقامة دولة إسرائيل الحالية.ففي سفر التثنية جاء «يذهب بك الرب وبملكك الذي تقيمه عليك إلى أمة لم تعرفها أنت ولا آباؤك وتعبد هناك آلهة أخرى من خشب وحجر.. وتكون دهشاً ومثلاً وهزأة في جميع الشعوب الذين يسوقك الرب إليهم... الغريب الذي في وسطك يستعلي عليك متصاعداً وأنت تنحط متنازلاً.. وتأتي عليك جميع هذه اللعنات وتتبعك وتدركك حتى تهلك لأنك لم تسمع لصوت الرب إلهك لتحفظ وصاياه وفرائضه التي أوصاك به»[53].

ولهذا وعد الله إسرائيل بالخراب والتدمير والتمزيق وليس بإعادة إحيائها مرة أخرى من جديد. ففي سفر الملوك (الإصحاح الحادي عشر) ذكر للنساء اللاتي تزوجهن سليمان ضد إرادة الخالق، فبالإضافة إلى بنت فرعون تزوج سليمان سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، مما أغضب الرب بسبب نسائه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فجاء في سفر الملوك» فغضب الرب على سليمان لأن قلبه مال عن الرب

إله إسرائيل الذي تراءى له مرتين وأوصاه في هذا الأمر أن لا يتبع آلهة أخرى، فلم يحفظ ما أوصى به الرب، فقال الرب لسليمان من أجل أن ذلك عندك ولم تحفظ عهدي وفرائضي التي أوصيتك بها فإني أمزق المملكة عنك تمزيقاً وأعطيها لعبدك، إلا أني لا أفعل ذلك في أيامك من أجل داود أبيك بل من يد ابنك أمزقها»[54].

وهناك تهديد آخر لسليمان بقطع إسرائيل عن وجه البسيطة، إن لم يتبعوا الوصايا والفرائض «إن كنتم تنقلبون أنتم أو أبناؤكم من ورائي ولا تحفظون وصاياي وفرائضي... فإني أقطع إسرائيل عن وجه الأرض التي أعطيتهم إياها والبيت الذي قدسته لاسمي أنفيه من أمامي ويكون إسرائيل مثلاً وهزأة في جميع الشعوب، وهذا البيت يكون عبرة. كل من يمر عليه يتعجب ويصفر ويقولون لماذا عمل الرب هكذا لهذه الأرض ولهذا البيت، فيقولون من أجل أنهم تركوا الرب إلههم الذي أخرج آباءهم من أرض مصر وتمسكوا بآلهة أخرى وسجدوا لها وعبدوها لذلك جلب الرب عليهم كل هذا الشر»[55].

أسطورة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين:

تربط الحركة الصهيونية في دعايتها بين أسطورة «الحقوق الدينية» لليهود في فلسطين، وبين أسطورة «الحقوق التاريخية» لهم فيها، وتتم عملية الربط هذه استناداً إلى التوراة أيضاً باعتبارها ليس كتاب دين فقط، بل كتاب تاريخ أيضاً، تمت قراءته بصورة سياسية وانتقائية خدمة لأهداف الحركة الصهيونية، التي زعمت أن الأسبقية التاريخية في فلسطين تعود لليهود، وليس للعرب، ومن أنهم أول من شيد فيها حضارة مزدهرة متطورة فاقت في أهميتها حضارات الأقوام السابقة، وأقاموا فيها مملكة داود وسليمان ثم مملكتين إسرائيليتين منذ أكثر من ثلاثة آلاف سنة. ولتبرير الاستيلاء على الأرض وطرد سكانها الفلسطينيين منها عززت الحركة الصهيونية الأسطورة التاريخية باختلاقها بشكل مناف للحقيقة أسطورة «العرق اليهودي النقي» والحنين التاريخي الدائم لليهود بالعودة إلى أرض الآباء والأجداد (فلسطين)، التي وصفتها بالصحراء القاحلة والأرض الخالية من السكان[56]، انطلاقاً من الصيغة المشهورة لإسرائيل زانغويل (Israel Zanqwill) «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض»[57] والتي تبنتها الحركة الصهيونية لاحقا. ولا تقل سخافة عن هذه الأكاذيب الصهيونية ،تلك الخرافة، التي صورت أن حنين اليهود الدائم إلى الوطن هو الذي دفعهم للهجرة إلى فلسطين.

في الواقع لم تأت موجات الهجرة اليهودية الحديثة إلى فلسطين، بسبب الدوافع الدينية، ولا بسبب الدوافع «القومية» ولا حتى بسبب ذلك «الحنين الدائم» المزعوم إلى «أرض الآباء والأجداد»، وإنما جاءت بفعل المعاناة والاضطهاد، لكن حتى تكتمل هذه المزاعم وتضفي عليها طابعا من المصداقية، ادعت الحركة الصهيونية أن سكان فلسطين من العرب، ليسوا هم أول من سكن في فلسطين، وإنما جاءوا إليها متأخرين مع الفتوحات العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي، ومن أن اليهود هم أصحاب (الحق الطبيعي والتاريخي) بفلسطين. لقد عبر القادة الصهاينة عن هذه المزاعم في أكثر من مناسبة. المذكرة التي قدمتها الحركة الصهيونية العالمية إلى مؤتمر السلام في باريس عام 1919 أعلنت أن «هذه الأرض (فلسطين) هي المقر التاريخي

لليهود»، ومن جانبه أكد إعلان قيام دولة إسرائيل في 15/5/1948 على أن إسرائيل قامت «بفضل الحق الطبيعي والتاريخي للشعب اليهودي»[58].

تفنيد أسطورة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين:

أولا: أسبقية الوجود التاريخي للكنعانيين العرب في فلسطين

من الحقائق العلمية الثابتة بين المؤرخين –وهذا ما تؤكده أيضاً التوراة نفسها– أن الكنعانيين[×] هم سكان فلسطين الأصليين (الأوائل)، إلا أن التوراة والمؤرخين الصهاينة والمناصرين لهم يتجاهلون الأصل السامي للكنعانيين ويتجاهلون أن الكنعانيين عرب،وذلك من أجل قطع الطريق على عروبة فلسطين تاريخيا وبالتالي لحرمان الفلسطينيين العرب من حقهم الشرعي والطبيعي في ملكية بلادهم فلسطين من جانب، ومن أجل اختلاق جذور تاريخية ودينية لدولة إسرائيل المعاصرة في إسرائيل القديمة لتبرير شرعية احتلال فلسطين من جانب آخر.

ومن الثابت تاريخياً أيضاً أن الكنعانيين عرب انحدروا من القبائل السامية التي هاجرت إلى فلسطين من شبه جزيرة العرب[59]، بلد المنشأ والموطن الأول والطبيعي للعرب وللشعب السامي الأول أو الأصل لجميع هذه الشعوب والقبائل العربية [60]. وكان العموريون العمالقة من هذه القبائل العربية التي هاجرت إلى فلسطين قبل أكثر من ألفي سنة من ظهور النبي موسى وأتباعه في القرن الثالث عشر ق.م. وقبل مجيء إبراهيم الخليل من جنوب العراق إلى بلاد كنعان (فلسطين) بحوالي ألف وثلاثمائة سنة[61] . تعترف التوراة بوجود العماليق بفلسطين قبل قدوم قوم موسى إلى فلسطين وتروي بأنهم هم أول من تصدى لقوم موسى القادمين من مصر.

كما ويؤكد العديد من المؤرخين الغربيين أمثال كيللر[62](Keller) وكبار المؤرخين العرب، وعلى رأسهم الطبري وابن خلدون ،على أن العرب ينحدرون من صلب سام بن نوح، وعلى عروبة فلسطين وعلى الأصل العربي لأوائل الشعوب في المنطقة. يقول الطبري بهذا الخصوص: «فعمليق أبو العماليق. كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان، وأهل الحجاز، وأهل الشام، وأهل مصر منهم، ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون...»[63]. وأضاف الطبري في موقع آخر قائلا:»إن عمليق أول من تكلم بالعربية...فكان يقال لهم ولجرهم: العرب العاربة وثمود وجديس ابنا عابر بن نوح، وعاد وعبيل ابنا عوض بن إرم بن سام بن نوح»[64]. ويؤكد ابن خلدون أيضا على ذلك بقوله:»أول ملك في فلسطين في فجر تاريخها كان للعرب»[65].

في الواقع كانت حقيقة عروبة فلسطين معروفة لأبناء المنطقة قبل فتحها على يد المسلمين في أوائل القرن السابع الميلادي. ويستدل على ذلك من الحوار التاريخي الذي جرى بين قسطنطين بن هرقل قائد جيش الروم وبين عمرو بن العاص «أفصح العرب لساناً»، ومما قاله عمرو: «... وهذه الأرض التي أنتم فيها ليست لكم وهي أرض العمالقة من قبلكم... والعرب كلهم ولد سام وهم قحطان وطسم وجديس وعملاق وهو أبو العمالقة، حيث كانوا في البلاد وهم الجبابرة الذين كانوا بالشام فهذه العرب العاربة لأن لسانهم الذي جبلوا عليه العربية..» [66].

لكن وبخلاف الفتوحات السابقة، استندت

الفتوحات العربية الإسلامية إلى بلاد الشام وفلسطين على وجود سابق لموجات من الهجرات العربية التي نزحت من جزيرة العرب قبل ظهور الإسلام بعدة قرون، تارة بسبب القوافل التجارية التي لم تنقطع، ولهذا كانت اللغة العربية مألوفة في جميع سواحل بلاد الشام[67]، وتارة أخرى عن طريق التسرب التدريجي أو عن طريق الهجرات الجماعية[68].

أما الاختلاف بين موجات الهجرة البشرية من القبائل العربية التي كانت تنزح إلى بلاد الشام في عصور ما قبل الإسلام، وبين تلك التي جاءت من الجزيرة العربية بعد ظهور الإسلام فهو أن الموجات الأولى «كانت تفقد صلاتها مع موطنها الأصلي وتتعرض إلى سلسلة من الأحداث والتطورات تنسيها ماضيها، وتؤدي إلى اندماجها بسكان البلاد التي تستوطنها»، بينما حافظت الموجات الثانية على «صلاتها بمنبعها الأصلي... وظلت وثيقة الاتصال به من الوجهتين المادية والمعنوية، وفضلا عن ذلك استطاعت أن تنشر لغتها... وانتهت إلى تعريب سكان أقطار واسعة من البلاد المفتوحة تعريباً تاماً»[69]، فقسم منهم اعتنق العروبة (استعرب) دون أن يعتنق الإسلام، بحكم أن الإسلام لا يجبر البلاد المفتوحة باعتناق الدين، وقسم آخر ترك ديانته السابقة (مسيحية كانت أو يهودية أو وثنية) واعتنق الديانة الإسلامية الجديدة.

ومنذ تاريخ الفتح الإسلامي لفلسطين طبعت فلسطين بالطابع العربي والإسلامي المحض، واستمر سكانها من المسلمين العرب والعرب غير المسلمين في التواجد فيها، وكانت ملكيتهم لها بشكل متواصل ودون انقطاع لمدة تربو على الأربعة عشر قرناً من الزمان، أي حتى اليوم، وهذا التواجد العربي الإسلامي فاق من حيث مدته الزمنية الطويلة، أو من حيث قوة وتطور الحضارة والثقافة الإسلامية والعربية، تواجد أية جماعية بشرية أخرى سبق لها وأن سيطرت على فلسطين وأقامت فيها حضارة. وبالتالي فإن ظهور العرب في فلسطين في القرن السابع الميلادي كان ظهورا ثقافياً وحضارياً أكثر من كونه عرقياً، إلا أن الحركة الصهيونية والدراسات التاريخية الغربية الواقعة تحت تأثيرها، تجاهلت حقيقة هذا التتابع والتواصل التاريخي للوجود العربي في فلسطين، ودأبت في نفس الوقت على إثبات الحق التاريخي لليهود في فلسطين من خلال اختلاق رواية أصل (Master Story) تفترض أن تاريخ فلسطين لا يمكن فهمه لذاته، وإنما من خلال الوجود اليهودي فيها.

وفي إطار التصدي للمغالطات والأضاليل التي تروجها الحركة الصهيونية لتدعيم مزاعمها بالحق التاريخي «للشعب اليهودي» بفلسطين نعتقد أنه من الضروري أن نجيب على التساؤل التالي وهو: ما هي صلة اليهود بفلسطين وأين هو موطنهم الأصلي؟. ولعله من الضروري أيضا أن تستند هذه الإجابة على التوراة نفسها.

تقر التوراة بأن أرض فلسطين (أرض كنعان) ليست الوطن الأصلي لليهود وأن فلسطين هي أرض غربة بالنسبة إلى آل إبراهيم و آل إسحق و آل يعقوب وأنهم جميعا غرباء وافدين طارئين على أرض فلسطين[70]. أما الموطن الأصلي لليهود فهو (أرام النهرين) أي منطقة حاران (حران) الحالية التي تنتمي إليها العشائر الآرامية التي استقرت فيها بعد هجرتها من الجزيرة العربية، ثم نزحت هذه القبائل

إلى جنوب العراق فكان إبراهيم الخليل من ذريتها. ومن الملاحظ أنه كلما تذكر التوراة عبارة الاغتراب، ورد ذكر لإبراهيم الخليل في فلسطين ومصر، فقيل «وتغرب إبراهيم في أرض الفلسطينيين»[71]، «فانحدر أبرام إلى مصر ليتغرب هناك»[72]، «وانتقل إبراهيم إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور وتغرب في جرار.»[73] وعندما اشترى إبراهيم مغارة المكفيلة في حبرون قال لهم :«أنا غريب ونزيل عندكم أعطوني ملك قبر معكم لأدفن ميتي.»[74] ومثل ذلك ورد في التوراة بخصوص إسحاق ويعقوب: «وسكن يعقوب في أرض غربة أبيه في أرض كنعان»[75].» وجاء يعقوب إلى إسحاق أبيه إلى ممرا، قرية أربع، التي هي حبرون، حيث تغرب إبراهيم وإسحاق»[76]. كما وتروي التوراة أن أبناء إسرائيل الاثنتي عشر ولدوا كلهم في فدان أرام[77] (منطقة حران) خارج فلسطين.

ثانيا: الكنعانيون العرب أول من أسس حضارة متطورة في فلسطين

وبعد عجز الادعاءات الصهيونية والمؤرخين، الخاضعين لتأثير التوراة في كتابة التاريخ، من إثبات أسبقية الوجود اليهودي التاريخي في فلسطين، لجأوا إلى مقولة أن اليهود هم أول من أنشأ دولة قوية وحضارة متطورة ومزدهرة في فلسطين فاقت الحضارات الأخرى، لإيجاد تبرير عصري للاحتلال الصهيوني الحالي لفلسطين.من المعلوم أن المملكة اليهودية بلغت ذروة اتساعها في عهد داود، إلا أن أغلب سكانها كانوا من غير اليهود، كما أنها لم تتمكن في يوم من الأيام من بسط سيطرتها على أغلب أراضي فلسطين القديمة، على الرغم من إخضاع ودمج عدة مراكز قوى فلسطينية بالقوة العسكرية في مملكة داود. لقد ظلت منطقة الساحل الفلسطيني من شمال يافا وحتى جنوب غزة، خاضعة لمصر[78]، أما الجزء الآخر من ساحل المتوسط فقد ظل تحت سيطرة الفلسطينيين والفينيقيين[79]. وعلى الرغم من هذه الحقيقة، إلا أن الكثير من الباحثين والمؤرخين الغربيين لجأوا في إطار وصفهم إلى اتساع وامتداد حدود مملكتي داود وسليمان إلى المبالغة والتمادي في الخيال أسوة بالعادة التي درجت عليها تلك العصور القديمة. المؤرخ المشهور ويلز(Wells) يعلق على ذلك فيقول «ولا يستطيع أحد أن يزعم أن أرض الميعاد وقعت يوما بيد العبرانيين (اليهود). ويلوح أن داود وضع نفسه في حماية حيرام ملك صور فثبتت هذه المحالفة الفينيقية ملكه.»[80] ويضيف قائلا «أن الملك سليمان لم يكن وهو في أوج ملكه إلا ملكا صغيرا يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث إنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم ونهب معظم ما فيها من كنوز»[81].

وبناءا على ما تقدم بالإمكان القول أن الكيان اليهودي الذي حل عنوة محل فلسطين لم يكن الكيان السياسي الأول ولا الوحيد في المنطقة وأن بني إسرائيل كانوا دخلاء وغرباء عن فلسطين وعاشوا طيلة مدة وجودهم فيها كأقلية عجزت في جميع أدوار التاريخ عن تكوين دولة مدنية زمنية تضم كل فلسطين وأن مملكة داود وسليمان التي كانت قائمة في القرن العاشر ق.م. لم تكن تملك المقومات القومية والثقافية، إذ لم تكن لها لغة أو ثقافة أو حضارة خاصة بها.بل كانت قائمة على تراث كنعاني

بحث[82]. ومن الشواهد والأدلة التي تدعم هذا الرأي اقتباس الموسويين الذين دخلوا فلسطين لكل من اللغة والثقافة والحضارة والتقاليد الكنعانية[83].

أما الكنعانيون فقد شيدوا أثناء وجودهم في فلسطين حضارة متطورة وبنوا عدة مدن مثل أريحا، وأشدود (أسدود) وعكو(عكا) وغزة، والمجدل، ويافي (يافا) ويبوس (القدس) التي بناها اليبوسيون (فرع من القبائل الكنعانية)، وشكيم (نابلس) التي كانت العاصمة الطبيعية لكنعان[84]، والحبرون (الخليل) وغيرها من البلدات والمدن الأخرى التي ما زالت قائمة حتى اليوم. لم يثبت علميا أن اليهود قاموا عبر التاريخ ببناء أي من هذه المدن التاريخية القديمة، مما يعني أن فلسطين كنعاية عربية المنشأ في حضارتها وفي ثقافتها وفي قوميتها.لقد توصل الخبراء إلى أن مكتشفات تل العمارنة وأوغاريت (فينيقيا) التي عثر عليها في منطقة رأس شمرا والتي تعود إلى 1500عام ق.م تقريبا تؤكد على أن الكنعانيين عرفوا أدب الملاحم الشعرية والأناشيد المنقوشة قبل الإسرائيليين بزمن طويل. فالإسرائيليون يدعون أنهم كانوا الرواد في أدب الملاحم.وأكد الخبراء أيضا أن شرائع التوراة هي نفسها الشرائع التي كان يمارسها الكنعانيون والبابليون من قبل، وقد اقتبسها اليهود منهم ومن ثم أدخلوها في كتبهم المقدسة[85]. ولقد ثبت أيضا أن كل ما يملكه اليهود «من المقومات الثقافية من ضمنها اللغة وكتابهم المقدس مقتبس من الحضارة الكنعانية والآرامية وهي من أصل عربي، وأن الأسماء التاريخية الواردة في التوراة سواء أكانت أسماء شخصيات أو أسماء أماكن هي من أصل كنعاني عربي ترجع إلى ما قبل ظهور اللغة العبرية بأكثر من ألفي سنة»[86].

ولما كان الكنعانيون أعداء اليهود (بني إسرائيل) والتوراة كانت من كتابة اليهود، فمن الطبيعي أن يتخذ رواة التوراة موقفا معاديا من الكنعانيين العرب وحضارتهم لصالح بني إسرائيل.وهذا الموقف ينسحب أيضا على العماليق العرب الذين تصفهم التوراة بالأعداء. لذا تهدف الحركة الصهيونية من وراء تجاهل التتابع التاريخي للملكية العربية المتواصلة لفلسطين، واختلاق بدلا من ذلك أسطورة التتابع العرقي اليهودي والتاريخ المميز لإسرائيل التاريخية استناداً إلى قراءة انتقائية لنصوص توراتية، لا تؤمن الحركة الصهيونية بقيمتها التاريخية، إلا بمقدار ما تنسجم مع رؤيتها، لإيجاد تبرير تاريخي لدولة إسرائيل الحالية في إسرائيل القديمة. إلا أنه من السهولة بمكان، استناداً إلى المعطيات والشواهد التاريخية السابقة تفنيد أسطورة الحقوق التاريخية لليهود في فلسطين، ولعل من أهم هذه الشواهد والحقائق التاريخية التي يمكن تقديمها إضافة إلى ما تقدم ما يأتي:

1 – لا يعتبر التاريخ العبري في فلسطين تاريخاً مميزاً عن تاريخ بقية الإمبراطوريات القديمة التي سيطرت على فلسطين القديمة أو التي سادت في المنطقة، ولم تكن إسرائيل التاريخية ولا التاريخ اليهودي في فلسطين إلا لحظة متأخرة وعابرة في مسيرة التاريخ الحضاري الطويل لفلسطين القديمة، فالأسبقية التاريخية لم تثبت لليهود، فهم ليسوا أول من سكن في فلسطين وليسوا أول من أقام فيها حضارة متفوقة ومزدهرة. لقد سبقهم الكنعانيون العرب بآلاف السنين، وأقاموا فيها حضارة متميزة متطورة، وبنوا القلاع والحصون والمدن، وأهمها مدينة يبوس (القدس)، التي بنوها في نحو الألف

الثالثة قبل الميلاد، أي قبل أن يحتلها داود ويجعلها عاصمة لمملكته في أوائل الألف الأولى ق.م.

إن أورشليم (القدس) التي يحاول الصهاينة اليوم اعتبارها من الأسماء العبرية (اليهودية) هي في الأصل كلمة كنعانية آرامية وردت بهذا الاسم في النصوص الكنعانية التي تعرف برسائل العمارنة في القرن الخامس عشر ق. م.، أي قبل ظهور مدونات التوراة بألف عام[87].

وتروي التوراة عن أورشليم رواية متناقضة، ورد في سفر القضاة الإصحاح الأول (1، 8) حيث تقول «وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف، وأشعلوا المدينة بالنار»، بينما ورد عكس ذلك في السفر نفسه (1: 21) «وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان أورشليم، فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في أورشليم إلى هذا اليوم». وتعترف التوراة أيضا بأنه ليس لليهود أية صلة بتاريخ أورشليم القديم، لا من حيث التسمية ولا من حيث القومية، ولا من حيث الملكية الأصلية. فلما خاطب حزقيال أورشليم قال:»....أبوك أموري وأمك حثية»[88]. وعندما حاول الملك داود أن ينشئ الهيكل في أورشليم اضطر إلى شراء الأرض لبناء الهيكل من أصحابها اليبوسيين[89].

ومن المفيد أيضا التذكير بأن هيكل سليمان الذي بني في القدس[×] في القرن العاشر ق.م قد تم تدميره ثلاث مرات، وأعيد بناؤه مرتين؛ دمر في المرة الأولى على يد جيوش ملك البابليين نبوخذ نصر عام 586 ق.م ثم أعاد اليهود بناءه في سنة 515–520 ق.م، وهدم هذا الهيكل الثاني على يد القائد الروماني تيطس سنة 70 م، وأزال آثاره بالكامل هدريان الروماني عام 135م. منذ ذلك التاريخ وحتى هذه اللحظة لم يعثر على أي دليل مادي أو تاريخي يثبت وجود الهيكل في المكان الذي بني فيه.، وادعاء اليهود بأن حائط البراق الذي يطلقون عليه «حائط المبكى» هو جزء من الهيكل الثاني، ليس صحيحا. فحائط البراق والرصيف التابع له يعتبر وقفا إسلاميا.هذا ما اعترفت به اللجنة الدولية التابعة لعصبة الأمم في تقريرها الصادر عام 1930.

وبعد عام 1967 قامت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة بعدة محاولات لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه. وفي إسرائيل توجد أكثر من ثلاثين جمعية ومنظمة صهيونية متطرفة تؤمن بضرورة إقامة الهيكل الثالث على أنقاض المسجد الأقصى[90]، وتتعامل مع ذلك كما لو كان عملاً مشروعاً حسب قوانين الدولة الصهيونية.ويدعم هذه التوجهات المسيحيون الإنجيليون كخطوة على طرق عودة المسيح المسيا وبداية معركة هرمجدون[××].

ويمكن تقديم مجموعة من الأدلة، التي تؤكد أن لا وجود للهيكل من أهمها:

أولا: أن الحفريات اليهودية منذ عام 1967 التي تمت في الحرم الشريف وتحت حائط البراق، الذي يسميه اليهود «حائط المبكى»، لم تكشف أثرا واحدا عن هيكل سليمان، ولكنها كشفت بدلا من ذلك آثارا إسلامية من العهد الأموي، وأخرى بيزنطية ورومانية إضافة إلى فقرتين من سفر النبي أشعيا محفورتين بخط اليد على حجارة، مما يجعل نسبة تلك الحجارة لداود وسليمان أمرا مستحيلا.

ثانيا: التناقضات والاختلافات الموجودة بين نصوص الكتاب المقدس من ناحية وبين الطوائف اليهودية نفسها من ناحية أخرى حول مكان وجود الهيكل تفند المزاعم التوراتية والصهيونية بوجوده وتجعل

منه خرافة وليس حقيقة ثابتة. فاليهود السامريون يعتقدون أنه بني على جبل «جرزيم» في مدينة نابلس، ولا يعترفون بالمزاعم اليهودية، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية أحد أسفار التوراة الخمسة.

ثالثا: أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكيين الذين نقّبوا واشتغلوا في الحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد للهيكل تحت المسجد الأقصى ولا تحت قبة الصخرة، مما دفع بعضهم إلى الاستنتاج بأن الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود «إسرائيل فلنتشتاين» من جامعة تل أبيب .وعندما أثبتت عالمة الآثار البريطانية الدكتورة «كاتلين كابينوس» عام -1968 التي قامت بأعمال حفريات بالقدس - بعدم وجود أي آثار لهيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى، وأن ما يسميه «الإسرائيليون» مبنى إسطبلات سليمان ليس له علاقة بسليمان ولا بالإسطبلات، بل هو نموذج معماري لقصر شائع البناء في عدة مناطق بفلسطين حينئذ، طردتها السلطات الإسرائيلية من فلسطين[91].

1 - المدة الزمنية التي أقام فيها اليهود في فلسطين كانت قصيرة ومتقطعة وعابرة نسبياً، لقد فقد اليهود ارتباطهم المادي والعضوي بفلسطين لمدة تزيد عن العشرين قرناً، وهذه الإقامة الطويلة والمتواصلة خارج فلسطين لا تعطيهم الحق في ملكيتها والسيطرة عليها، فالحق الوحيد لأي شعب، في ملكيته لبلده، تنبع من المولد والإقامة الدائمة والمتواصلة، وهذا ما ينطبق على شعب فلسطين (السكان الأصليين) الذين لم يخرجوا منها على مر التاريخ أبداً إلا عنوةً ولأول مرة عام 1948 كنتيجة لقيام دولة إسرائيل.

2 - الوجود اليهودي في فلسطين كان من خلال الغزو والاحتلال بالحديد والنار، مثل اليهود في ذلك مثل بقية الأقوام والإمبراطوريات التي احتلت فلسطين بالقوة، فالاحتلال والغزو عمل غير قانوني وغير شرعي من منظور القانون الدولي، ولا يعطي المحتل الحق في الملكية والسيادة على الأراضي المحتلة، ولو جاز لنا تبني هذا الادعاء الصهيوني «بالحقوق التاريخية» لهم في فلسطين، استناداً إلى احتلالهم لها وإقامة دولة لهم فيها قبل أكثر من 2500 عام، لدخلت الكرة الأرضية بأسرها في الفوضى والبلبلة، وفي حروب ليس لها أول ولا آخر، ولما بقيت دولة واحدة مكانها وفي حدودها الحالية، ولأصبح من حق الأسبان أن يطالبوا بحقوقهم التاريخية في المكسيك، والعرب في أسبانيا، والإيطاليين بفرنسا، والمصريين القدماء والإغريق والفرس والرومان الذين استقاموا لفترة زمنية أطول من العبرانيين بفلسطين[92].

3 - لم يسيطر اليهود في ظل مملكة داود وسليمان، ولا في ظل مملكة يهودا ومملكة إسرائيل على كامل التراب الفلسطيني، كما ولم تكن أغلبية السكان من اليهود ولا المملكة التي شكلها داود أول «دولة قوية»، وأول كيان محلي مستقل في المنطقة»، كما تزعم الحركة الصهيونية من أجل تدعيم إدعاءاتها في الأرض على أساس الحق التاريخي، فالروايات التوراتية نفسها تؤكد أن مراكز القوى الفلسطينية التي كانت موجودة في فلسطين والتي انتصرت في البداية على إسرائيل، قد دمجت بالقوة العسكرية بمملكة داود[93].

4 - اليهودية ليست عرقاً، ويهود العالم ليسوا امتداداً للعبرانيين القدماء، وبالتالي لا يشكلون أمة مستقلة تنحدر من صلب سام، فاليهود الذين عاشوا

في البلدان الأخرى طيلة هذه الفترة الزمنية الطويلة اكتسبوا عاداتها وتقاليدها، بل وحتى لغتها، بعد أن فقدوا لغتهم الأولى، والشعب الذي يفقد لغته ويتبنى لغة أخرى فتصبح لغة الأم لديه، يفقد قوميته، بل ومن الخطأ أيضاً النظر إلى اليهود أنهم يشكلون أمة مستقلة حتى قبل دخولهم فلسطين، فقوم موسى الذين جاءوا مع سيدنا موسى كانوا يتألفون من عدة قوميات، فهم من الجماعات التي احتجت على فرعون وآمنوا بموسى عليه السلام، وممالكهم التي أنشئوها في فلسطين كانت أيضاً متعددة القوميات والأعراق ومفتوحة على القوميات الأخرى. الحركة الصهيونية التي اخترعت أسطورة «العرق القومي النقي لليهود» على هيئة النموذج القومي المعاصر، أي فكرة الدولة القومية التي سادت في أوروبا في فترة الاستعمار، كانت تهدف من وراء ذلك إلى توحيد يهود العالم لمنحهم حقاً تاريخياً جماعياً بفلسطين استناداً إلى أساطير كاذبة منها «أسطورة الصحراء» و«الأرض الفراغ» الخالية من السكان من أجل تبرير الاستيلاء على فلسطين وتشريد أهلها منها.

5- إضافة إلى التاريخ الذي يشهد بوقائعه وأحداثه لصالح حقوق الشعب العربي الفلسطيني في فلسطين، فإن الجغرافيا هي شاهد حي على أحقية الفلسطينيين العرب بوطنهم فلسطين، فمن غير المنطقي أو العلمي أن تكون فلسطين الواقعة في قلب العالم العربي جغرافياً، وليس على تخومه، أرضا غير عربية فكيف يمكن للمرء أن يتصور أن قلبه ليس منه وليس له.

أسطورة الذريعة الأخلاقية:

ولما كانت حجة «الحقوق الدينية والتاريخية» لليهود في فلسطين، عاجزة تماما عن تقديم تفسير علمي ومنطقي مقنع لنشأة دولة إسرائيل، كان لابد من تعزيز هذه الحجة بذريعة أخرى، تعطي تفسيرا أخلاقيا وإنسانيا لتبرير شرعية إسرائيل ووجودها وسياساتها من جانب، ولمواصلة الدعم الغربي لها، ولكن هذه المرة بطريقة أخلاقية من جانب آخر. فكثيراً ما تستخدم الحجة الأخلاقية كأحد أهم المبررات لإيجاد مشروعية لدولة إسرائيل وللحفاظ على وجودها وأمنها.

ولعل أهم هذه الذرائع الأخلاقية هي ذلك التاريخ الطويل من المعاناة اليهودية في الغرب المسيحي على مدار عدة قرون من الزمن[94]، والتي بلغت ذروتها إبان الحكم النازي (1945-1933)، الذي راح ضحيته حوالي (ستة ملايين يهودي) حسب المصادر الإسرائيلية والغربية الرسمية المبالغ فيها، إذ ما من شك في أن الصهيونية العالمية وإسرائيل ومناصريهما في الغرب يقومون بتضخيم هذه الأعداد من الضحايا لاستثمارها سياسيا، ويستغلون ما يسمى بـ «المحرقة اليهودية» آوشفيتز (Auschwitz) والهولوكوست (Holocaust)[×] و«الإبادة الجماعية» (Genocide)، في إشارة إلى مدى المجازر والجرائم التي ارتكبت بحق اليهود، لتحويلها إلى حدث استثنائي فريد من نوعه، لإضفاء طابع القدسية عليها وكأنها «جزء لا يتجزأ من مشيئة الله»[95]، التي لا يجوز التشكيك فيها ولا إنكارها أو إخضاعها للبحث العلمي والتاريخي، ولا حتى مقارنتها مع أية جريمة أو مذبحة أخرى حلت بأي شعب آخر عبر التاريخ.

وفي ضوء ذلك ليس من الغريب أن يعلن أحد الحاخامات اليهود أن «إنشاء دولة إسرائيل هو الرد

الإلهي على الهولوكوست»[96]. وبنفس هذا المضمون صرح رئيس وزراء إسرائيل بن غوريون» لقد كانت الوصية الأخيرة للستة ملايين (يهوي) الذين قضوا ضحايا النازية، أنهم قدموا الدافع النهائي الذي لا رجعة فيه لإنشاء دولة إسرائيل. وصيتهم كانت: ظلوا أقوياء وسعداء، واضمنوا السلام والأمن، وأبعدوا إلى الأبد شبح هذا الرعب عن الشعب اليهودي»[97].

إن هذا الترابط بين نشأة دولة إسرائيل والمجازر النازية بحق اليهود واضطهادهم في أوروبا لقرون طويلة يسود بشكل واسع في الأوساط الغربية. ففي دراستهما الرصينة والموضوعية حول «اللوبي الإسرائيلي والسياسة الخارجية الأمريكية» يشير عالما السياسة، جون ميرشايمر (John J. Mearsheimer) وستيفن وولت (Stephen M. Walt) إلى هذه العلاقة بقولهما أنه "ما من شك أن اليهود قد عانوا كثيراً جراء إرث اللاسامية الخسيس، وأن خلق إسرائيل كان رداً على سجل طويل من الجرائم... يوفر هذا التاريخ قضية أخلاقية قوية لدعم وجود إسرائيل»[98]. ولهذا فإن القناعة التي روجت في الغرب تقول أن اليهود «لا يمكن أن يكونوا في مأمن إلا في وطن يهودي، وأن البعض يعتقد بأن إسرائيل تستحق معاملة خاصة من الولايات المتحدة»، دون أن يتم الالتفات، إلى أن قيام دولة «إسرائيل سنة 1948–1947 انطوى على أعمال تطهير عرقي ضمنية، ومن بينها الإعدامات والمذابح وعمليات الاغتصاب من قبل اليهود»[99]. وأن هذه الجرائم والمجازر «ارتكبت ضد طرف ثالث بريء في أغلب الأحيان، وهو:الفلسطينيون»[100]. وبالفعل فإنه من الخطأ اعتماد مقولة أن قيام دولة إسرائيل يمكن تبريره أخلاقياً، وأنه كان «رداً إلهياً «على المجازر النازية بحق اليهود. إن هذا الادعاء خرافة، شأنه في ذلك شأن خرافة المبرر الأيديولوجي المتمثل في «الوعد الإلهي» في التوراة، الذي صورته إسرائيل بأنه «هبة إلهية» لتبرير اغتصابها لفلسطين وطرد سكانها منها من خلال ارتكاب الإرهاب والمذابح والمجازر أمثال مجزرة دير ياسين في 9 أبريل/ نيسان 1948 وغيرها من المجازر الأخرى.

وظف الخطاب الصهيوني بشكل خاطئ المجازر النازية ضد اليهود كذريعة أخلاقية لمصادرة الأراضي الفلسطينية وإقامة دولة إسرائيل وتهجير السكان الأصليين من وطنهم، وارتكاب المجازر والمذابح بحقهم.كما جعلت الحركة الصهيونية الاستعمار التقليدي القائم على الاحتلال والقتل والتدمير عملا أخلاقيا مشروعا لإقامة دولة إسرائيل بذريعة أنه لمصلحة السكان المحليين. ففي عام 1910م قال اللورد بلفور» إن استعمار بريطانيا لمصر كان لمصلحة المصريين أنفسهم وكذلك الحضارة الغربية برمتها»[101].وبنفس المنطق والأسلوب عملت الصهيونية ودولة إسرائيل، وادعت أنهما تمثلان التقدم للفلسطينيين، وأن الاستيطان اليهودي في فلسطين ومصادرته للأرض الفلسطينية كان لمصلحة الفلسطينيين العرب.هذا ما أكده جميع الصهاينة الأوائل، وما أعلن عنه رئيس وزراء إسرائيل ديفيد بن غوريون عندما تلا «إعلان الاستقلال» الإسرائيلي في 15 أيار/ مايو 1948 بقوله إن الصهاينة «جلبوا نعمة التقدم لجميع سكان البلد»[102]. لقد أدت ترجمة هذه السياسة على الأرض إلى تشريد الفلسطينيين من أرضهم، وإلى ارتكاب العديد من المجازر بحقهم كما حصل في دير يسين وغيرها من المجازر الأخرى قبل قيامها،

ومجزرة كفر قاسم وصبرا وشتيلا و مخيم جنين وغيرها من المجازر الأخرى بعد قيام دولة إسرائيل. إن هدف هذا المنطق الاستعماري هو تبرير شرعية الاحتلال ومجازره، ومن الصعب جدا أن يصدق أحد أن ارتكاب دولة إسرائيل الحالية للمجازر بحق السكان الأصليين(الشعب الفلسطيني) وتهجيرها لهم بالقوة العسكرية من وطنهم، ومنعهم بكل السبل من العودة إليه وممارسة شتى أنواع التمييز العنصري ضدهم هو لمصلحتهم.

في الحقيقة لقد خلق إنشاء دولة إسرائيل كارثة أخلاقية وإنسانية لشعب فلسطين وللمنطقة، تمثلت هذه الكارثة في سلب بلد (فلسطين) بالكامل، وطرد حوالي 900.000 لاجئ فلسطيني من بيوتهم وأراضيهم، وما زالت إسرائيل تمنعهم من ممارسة حقهم في العودة إلى وطنهم رغم العديد من القرارات الدولية التي طالبت إسرائيل بذلك، وعلى رأسها قرار الجمعية العامة رقم (194) الصادر بتاريخ 11/12/1948.

والغريب أن قادة إسرائيل لا ينكرون هذه المجازر ولا هذه الأساليب الوحشية والإرهابية التي لجأوا إليها لقيام دولتهم. رئيس وزراء إسرائيل السابق إسحاق شامير قال علناً أنه «لا أخلاق اليهودية ولا التقاليد اليهودية تستبعد الإرهاب كوسيلة للقتال»، بل أن الإرهاب «له دور كبير يلعبه... في حربنا ضد المحتلين (البريطانيين)»[103]، ومن جانبه اعترف رئيس وزراء إسرائيل السابق مناحيم بيغن بأهمية المجازر التي ارتكبتها العصابات الصهيونية لقيام دولة إسرائيل. ففي كتابه: «التمرد: قصة الأرغون» قال: «أن دولة إسرائيل ما كانت لتوجد لولا الانتصار في دير ياسين»[104].

أما بن غوريون فقد قال إلى ناحوم جولدمان (Nahum Goldmann) رئيس المؤتمر اليهودي العالمي: «لو كنت زعيماً عربياً لما كنت أتوصل إلى اتفاق مع إسرائيل أبداً، ذلك طبيعي، فقد أخذنا... بلدهم، ونحن ننتمي إلى إسرائيل، ولكن قبل ألفي سنة، وماذا يعني ذلك لهم؟ لقد كانت هنالك لاسامية، ونازيون، وهتلر، واوشفتز، ولكن هل كانت تلك غلطتهم؟ إنهم لا يرون إلا شيئاً واحداً هو أننا جئنا إلى هنا وسرقنا بلدهم، فلماذا ينبغي عليهم أن يقبلوا ذلك؟»[105].

استناداً إلى ما تقدم يتضح معنا أن الجرائم التي ارتكبت بحق اليهود في أوروبا، لا تبرر أخلاقيا إنشاء دولة إسرائيل ولا تبرر أيضا هذا الانحياز الغربي المتواصل لوجود وسياسات هذه الدولة، التي ارتكبت جريمة إنسانية وأخلاقية بحق الشعب الفلسطيني (السكان الأصليين) وشردته من وطنه ومارست بحقه جميع أشكال وأصناف الاضطهاد والتمييز العنصري. فالدعم الأخلاقي يجب أن لا يترتب علية جريمة أخلاقية بحق طرف ثالث، إذا أريد له أن يتمتع بالمصداقية.

فالتستر الأوروبي والأمريكي بالمسؤولية الأخلاقية لتغطية الدوافع الحقيقية لدعم دولة إسرائيل يخفي في حقيقته الأهداف والمصالح الإمبريالية والإستعمارية، التي كانت تسعى الدول الاستعمارية الأوروبية لتحقيقها قبل وصول هتلر إلى الحكم، بل وحتى قبل نشأة الحركة الصهيونية (1897) بعقود خلت.هذه الأهداف الغربية في الهيمنة والسيطرة على الوطن العربي ظلت ثابتة دون تغيير، وارتبطت منذ البداية بخلق كيان يهودي في فلسطين يمنع وحدته ويعيق تقدمه وتطوره العلمي والتكنولوجي

والصناعي، ويبقيه تابعا للقوى الغربية، إلا أن الوسائل والمبررات لتنفيذ هذه المصالح والأهداف هي التي تنوعت وتغيرت مع مرور الزمن.

في الواقع، كما ساهمت ألمانيا النازية بطريقة غير مباشرة في خلق دولة إسرائيل من خلال المجازر النازية (المحرقة)، التي خدمت أهداف الحركة الصهيونية في تهجير يهود أوروبا إلى فلسطين، وفي تعاطف العالم مع ضحايا النازية، ساهمت ألمانيا الاتحادية من جانبها أيضا في تثبيت وجود دولة إسرائيل من خلال دعمها السياسي والاقتصادي ودفع التعويضات المالية لها. واستنادا إلى هذا الدعم تمكنت إسرائيل من تدعيم احتلالها لفلسطين، وبناء المستوطنات فيها وتعزيز قدرتها العسكرية ضد الدول العربية.

وبعد إنشائها قامت إسرائيل باختلاق مجموعة أخرى من المبررات والأساطير التي أحاطت نفسها بها، لضمان استمرار الدعم الغربي لها من جانب، ولإعطاء الغرب مبررات أخلاقية إضافية، ليتمكن من خلال الإشارة إليها إخفاء حقيقة العلاقة الارتباطية بين وقوفه خلف إسرائيل وبين مصالحه الإمبريالية في النفوذ والهيمنة والسيطرة على المنطقة من جانب آخر.

لقد تمثلت هذه الذرائع في تصوير إسرائيل بأنها الدولة الديمقراطية الوحيدة في العالم العربي، وأنها تشترك مع الغرب في قيمه ومثله وثقافته، وأنها جزء من المجتمع المتمدن والعالم الحر المناهض للدكتاتورية، وأنها دولة صغيرة وضعيفة ومهددة بشكل دائم في بقائها، وأن حروبها التي خاضتها وتخوضها ضد العرب والفلسطينيين كانت وما زالت جميعها حروباً دفاعية عن النفس. تستمد الحركة الصهيونية هذا التبرير في إبادة الشعب الفلسطيني واحتلال أرضه من الدراسات التوراتية ومن التوراة التي تعتبر أن الهدف الوحيد لنشأة مملكة داود وسليمان هو صد عدوان الفلستيين (الفلسطينيين القدماء)، الذين يصورون على أنهم كانوا تهديدا كبيرا للإسرائيليين القدماء، أما فكرة العدوان وفرض الهيمنة على الأراضي غير الإسرائيلية فكانت مستبعدة تماما.

وبناء على هذا التشخيص الهادف والمشوه، الذي لا يعكس صورة إسرائيل الحقيقية ولا سلوكها السياسي والعسكري على أرض الواقع في المنطقة بسبب تأثير اللوبي الإسرائيلي القوي وحلفاء إسرائيل في الغرب، يسود الاعتقاد في الولايات المتحدة وفي الغرب في أن إسرائيل تستحق دعما خاصا ومميزا[106]، يستلزم الدفاع عن أمنها ووجودها وسياساتها.

ولا نظن أننا بحاجة إلى إيراد الأمثلة لإثبات عكس ذلك، أي أن إسرائيل هي التي تشكل مصدر التهديد الدائم لدول المنطقة. فالغرب، الذي يعلم جيدا تفوق إسرائيل العسكري التقليدي، وانفرادها في المنطقة بامتلاك السلاح النووي، واحتلالها لأراض عربية وعدم احترامها لقرارات الشرعية الدولية ولحقوق الإنسان الفلسطيني، لا يمكن أخذ مبرراته الأخلاقية في دعمه لإسرائيل على محمل الجد، فهذه تعتبر أمثلة ساطعة، ليست بحاجة إلى إثبات.

وليس من الصعوبة بمكان أيضا إثبات عنصرية إسرائيل وعدم ديمقراطيتها وممارستها للإرهاب وارتكابها لجرائم حرب ضد الإنسانية. ففي المحاضرة التي ألقاها رئيس الكنيست الإسرائيلي الأسبق (أفراهام بورغ) في جمعية (سيكوي)

الصهيونية استنكر الاحتلال الإسرائيلي ووصفه بـ (الشيطان)، بسبب ما وصفه بممارساته الفاشية، وانتقد أيضا الأيديولوجية الصهيونية التي وصفها بـ(العنصرية)[107].

تصريحات شولاميت ألوني وزيرة التربية والثقافة والعلوم في إسرائيل سابقا لصحيفة «كل العرب» التي تصدر في الناصرة والتي أعاد نشرها مرة أخرى بالعبرية الموقع الإليكتروني لصحيفة «يديعوت أحرونوت الإسرائيلية تؤكد على ذلك بطريقة لا يقوى على ذكرها الساسة في الغرب ووسائل الإعلام الغربية صراحة حيث تقول ألوني «لا يمكن لقاتل أن يصل إلى منصب وزير الدفاع إلا في إسرائيل» التي تسير وفق تصريحات ألوني «على هدي موسوليني». وتقر ألوني صراحة «بارتكاب إسرائيل جرائم حرب ضد الإنسانية «... وتتمنى» أن يُقدم شارون إلى المحاكمة» بسبب جرائمه التي ارتكبها ضد الفلسطينيين. وتصف ألوني «الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل في الأراضي (المحتلة) أكبر من الإرهاب الفلسطيني»، ومن أن إسرائيل ليست دولة ديمقراطية كما يصفها الغرب وتصف نفسها، إذ تتساءل ألوني «فبأي ديمقراطية تتغنى إسرائيل؟ هذه ديمقراطية منقوصة تحرم النساء والأقليات من المساواة وتعاملهم بموجب نظام «الوالي» العثماني. نحن لا نختلف عما كانت عليه جنوب أفريقيا، من حيث النظرة إلى عرب إسرائيل والفلسطينيين. حتى اليوم مازالت إسرائيل تستخدم قوانين الطوارئ الانتدابية ضد عرب إسرائيل، هذه القوانين التي وصفها دافيد بن غوريون يوما ما بأنها «قوانين نازية»[108].

وتضيف ألوني في تصريحاتها قائلة: "في إسرائيل يوجد نظام فصل عنصري... إسرائيل في حقيقة الأمر لا تختلف عن جنوب أفريقيا العنصرية طالما أنها تصف نفسها بأنها دولة يهودية بدلاً من دولة كل مواطنيها... ما من دولة في العالم لا تصف نفسها بأنها دولة كل مواطنيها»... فعندما قررت إسرائيل ذاتها أن تكون دولة لليهود بدلاً من أن تكون دولة كل مواطنيها، تحولت عملياً إلى نظام فصل عنصري... إن إسرائيل دولة عرقية وليست ديمقراطية[109].

وفي واقع الأمر ما دامت إسرائيل هي الكيان السياسي الذي يمثل تجسيدا حيا للفكرة الصهيونية، فإنه من الطبيعي أن تباشر بشكل ممنهج منذ نشأتها عام 1948 ممارسة سياسة تهويد الأرض الفلسطينية والتمييز العنصري ضد السكان العرب الأصليين.وفي سبيل ذلك أعطت إسرائيل الأراضي والمدن الفلسطينية التي احتلتها أسماء كنعانية باعتبارها أسماء يهودية قديمة وأصدرت مجموعة من التشريعات والقوانين لتسويغ ممارساتها الاستيطانية والعنصرية في مصادرة الأراضي الفلسطينية وإخلاء الفلسطينيين من أراضيهم لجلب يهود العالم إلى فلسطين وتمليكهم للأرض. ومن أهم هذه القوانين قانون «العودة» الصادر عام 1950 وقانون الجنسية (المواطنة) الصادر عام 1952. وبموجب هذين القانونين تسمح إسرائيل لكل يهودي في العالم بالهجرة إلى فلسطين التي أصبحت إسرائيل، وبامتلاك حق المواطنة الإسرائيلية مباشرة ويعتبر قانون العودة تمييزًا واضحا ضد غير اليهود، فهو يمنع أشخاصًا من غير اليهود من أن يكونوا مواطنين في إسرائيل، ويتناقض بشكل صارخ مع «وثيقة الاستقلال» الإسرائيلية، التي نصت على «مبادئ فصل السلطات، والحرية، والمساواة التامة

أمام القانون لجميع مواطنيها بغض النظر عن دينهم، وعرقهم، وجنسهم، ووطنيتهم.»[110].

وفي إطار هذه الأيدولوجيا الصهيونية تتدرج اشتراطات ومطالب دولة إسرائيل من الفلسطينيين والدول العربية بضرورة الاعتراف بها كدولة يهودية مقابل أية تسوية نهائية للقضية الفلسطينية، هي مطالب تعجيزية غير قابلة للتحقيق، لم تطالب بها إسرائيل أثناء مفاوضاتها مع المصريين والأردنيين سابقا، وبالتالي فإن طرحها هذه الأيام يهدف الالتفاف على عملية السلام العربية الإسرائيلية، والتهرب الإسرائيلي من الانسحاب من الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة منذ عام 1967.

إن الاعتراف بدولة إسرائيل كدولة يهودية وخاصة في ظل ما يسمى ب «قانون العودة الإسرائيلي» له تبعات خطيرة جدا على الشعب الفلسطيني وعلى العالم العربي، من أهمها:

1 - إلغاء قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم 194 الداعي إلى حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم التي شردوا منها عام 1948

2 - إسقاط الحق التاريخي للفلسطينيين والعرب وللمسلمين في فلسطين وطمس هويتها وثقافتها الحضارية العربية والإسلامية.

3 - منح إسرائيل الحق ممارسة سياسة التمييز العنصري ضد فلسطيني عام 1948 والبالغ عددهم حوالي مليون ونصف المليون مواطن، أي ما يساوي 20% من العدد الإجمالي لسكان إسرائيل تمهيدا لتهجيرهم قسريا من أرضهم بذريعة أن دولة إسرائيل هي دولة لليهود فقط، وليس لغيرهم.

4 - إسقاط موضوعة مناقشة قضية اللاجئين الفلسطينيين، التي أجلت بموجب اتفاقات أوسلو إلى مفاوضات الوضع النهائي، من على طاولة المفاوضات السياسية مع الجانب الإسرائيلي.

5 - إشعال نار الحروب والصراعات الدينية في المنطقة لأن قيام دوله يهودية دينيه متطرفة يسيطر عليها اليمين العنصري المتشدد ستقود لا محالة إلى الصراع الحتمي مع العالمين العربي والإسلامي.

واللافت للنظر هنا أن الحكومات الرسمية ووسائل الإعلام الغربية، التي تدافع عن الديمقراطية وحقوق الإنسان تتجاهل المطالبة الإسرائيلية بيهودية إسرائيل من ناحية، ولا تقر صراحة بما يقر به قادة إسرائيل من ناحية أخرى. فإضافة إلى تحريم التشكيك في وقوع المحرقة اليهودية يعتبر وصم إسرائيل والحركة الصهيونية «بالعنصرية وبممارسة الإرهاب» وأن إسرائيل «ترتكب جرائم حرب» وأنها «دولة نظام فصل عنصري وليست دولة ديمقراطية» من المفردات المحرم استخدامها في قاموس السياسات الغربية الرسمية أو في وسائل إعلامها مهما ارتكبت إسرائيل من جرائم ومجازر وعدوان واحتلال ومهما انتهكت بشكل صارخ حقوق الإنسان والمواثيق الدولية.لقد اتضح ذلك بشكل جلي عندما رفضت الدول الغربية إدانة إسرائيل بارتكاب جرائم حرب ضد الإنسانية في حربها الأخيرة على قطاع غزة في نهاية عام 2008 وبداية عام 2009 أو كما حصل من مجازر إسرائيلية ضد مخيم جنين في عام 2002م.

ومع هذا نجد أن الغرب بشكل عام والولايات

المتحدة الأمريكية بشكل خاص يتجاهلون هذه الحقائق ويشاركون في زرع صورة جميلة وديمقراطية ومسالمة لدولة إسرائيل ولسياساتها واصفين إياها بالضحية وخالية من التمييز العنصري والعدوان وأعمال الإرهاب المنظم ضد خصومها وأعدائها في المنطقة بطريقة مغايرة إلى أفعالها وممارساتها على أرض الواقع. لقد تجلت هذه المواقف في تصريحات الرئيس الأمريكي بوش الذي وصف شارون بأنه «رجل سلام» وأن إسرائيل تمتلك الحق في الدفاع عن نفسها متجاهلاً بذلك أنها صاحبة أقوى جيش في الشرق الأوسط.

وللحفاظ على صورتها المسالمة والجميلة الخالية من العدوان والإرهاب تستخدم إسرائيل وحلفائها في الغرب «تهمة اللاسامية» كأحد أهم وأقوى أسلحتهم الإعلامية الناجعة ضد منتقدي سياساتها وممارساتها من أجل تكميم أفواههم وابتزازهم سياسيا. فأي شخص ينتقد أو يدين سياسات حكومة إسرائيل، حتى وإن كان من المدافعين عن أمنها وحقها في الوجود ، يتهم بمعاداة السامية،مما سيعرضه لحملة تشهير تنال من سمعته ومركزه أو مستقبله السياسي والاجتماعي. أما إذا كان المنتقد لسياسات إسرائيل يهوديا فإنه يتهم على الأغلب بالخيانة. فتهمة اللاسامية تهمة فعالة ولا يوجد شخص مسؤول في الغرب يود أن يتهم بها(١١١).

وفي ضوء ما تقدم بالإمكان الاستنتاج أن اللاسامية خدمت وما زالت تخدم إسرائيل. فمن وراء استخدام «تهمة اللاسامية» وحظر التشكيك في «المحرقة» اليهودية، تسعى إسرائيل والجماعات اليهودية في أوروبا واللوبي اليهودي في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف لعل أهمها هي:

1 - الحصول على دعم مالي واقتصادي وعسكري متواصل لدولة إسرائيل ولسياساتها تجاه الفلسطينيين ودول المنطقة، لضمان وجودها وتفوقها العسكري النوعي على جميع البلدان العربية.

2 - منع قيام تحول شعبي غربي معادٍ إلى سياسات إسرائيل ومتعاطف مع الفلسطينيين والعرب انطلاقا من معطيات وحقائق علمية وتاريخية مغايرة للروايات الصهيونية.

3 - ضمان سيطرتها وهيمنتها مع الجاليات اليهودية على السياسات الغربية تجاه الشرق الأوسط، حتى لا تتعرض إسرائيل إلى ضغوط غربية، تجبر تحت تأثيرها على تقديم تنازلات إقليمية وسياسية للفلسطينيين وللدول العربية.

4 - ضمان استمرار الغرب المسيحي في تحمل المسؤولية الأخلاقية والأدبية، وشعوره بعقدة الذنب والإدانة تجاه إسرائيل بسبب المجازر النازية والمعاناة اليهودية التاريخية.

5 - ضمان استمرار تمتع اليهود في الغرب بوضع خاص ومتميز.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة بالوصف والتحليل تفنيد الحجج والذرائع الصهيونية القديمة الجديدة المستندة إلى مقولات «الحقوق الدينية والتاريخية والأخلاقية» لليهود في فلسطين لتبرير نشأة دولة إسرائيل وتبين معنا إن يهود العالم الحاليين لا يشكلون أمة أو شعباً مستقلاً ومميزاً، ولا ينحدرون من صلب إبراهيم عليه السلام، لقد اختلطوا بشعوب العالم عبر أكثر من ألفي سنة من خلال الزواج المختلط واعتناق غير اليهود للديانة اليهودية وبالتالي فهم ليسوا ساميين ولا يرتبطون عضوياً ومادياً وتاريخاً بفلسطين، وإنما صلتهم بها روحية وعاطفية. كما وأظهرت الدراسة أنه لا يوجد في التوراة ما يدعم أو يعزز مقولة الصهيونية من أن اختلاق إسرائيل المعاصرة ما هو إلا إعادة بناء لدولة إسرائيل التوراتية استجابة لوعود ربانية. على العكس تماماً، تظهر القراءة المتأنية والموضوعية للتوراة أن الله وعد مملكة إسرائيل التوراتية بالدمار والخراب وليس بإعادة البناء مرة أخرى من جديد. أما من حيث الأسبقية التاريخية والحضارية للوجود البشري في فلسطين، فهي تعود للكنعانيين العرب الذين بنوا فيها المدن والقلاع والحصون وأقاموا فيها أول حضارة متطورة ومزدهرة تفوقت على الحضارة اليهودية فيها. الوجود اليهودي في فلسطين وإقامة مملكة يهودية فيها كان وجوداً قصيراً وعابراً، وتم من خلال الغزو والاحتلال بالقوة مثله في ذلك مثل الأقوام الأخرى التي احتلت فلسطين كالرومان والفرس واليونان والصليبيين وغيرهم ولم يستند هذا الوجود إلى حقوق طبيعية وتاريخية ثابتة قائمة على أساس المولد والإقامة الدائمة والحيازة الطويلة والمتواصلة غير المنقطعة في فلسطين، كما هو الحال بالنسبة لسكانها الأصليين (الشعب العربي الفلسطيني) الذين يعتبرون امتدادا للوجود الكنعاني العربي، وبالتالي فإن الوجود اليهودي في فلسطين لا يترتب عليه حقوق ملكية لليهود في فلسطين، ولا يعطيهم حقاً في إقامة دولة لهم في فلسطين.

ولما كانت الحركة الصهيونية تفتقر إلى تقديم تفسير طبيعي وتاريخي ومنطقي لاختلاق دولة إسرائيل، التي كانت نتاج القوة والإرهاب والمجازر والوعود والأعمال الاستعمارية الغربية، والتي يصعب على الصهاينة الاعتراف بها، لما لها من تأثير سلبي قاتل على مشروعية دولة إسرائيل، لجأت إلى اختلاق أساطير وخرافات دينية وتاريخية لتبرير نشأة دولة إسرائيل من خلال تشويه وتزوير الحقائق التاريخية المتعلقة بفلسطين وشعب فلسطين وإنكارها حقه في وطنه، وتأويل النصوص الدينية التوراتية وتوظيفها خدمة لأغراضها السياسة، حتى تظهر نشأة إسرائيل وكأنها استجابة لحقوق تاريخية ووعود ربانية وليس نتيجة لوعود وأعمال استعمارية غير أخلاقية. وبعد حدوث الاضطهاد والمعاناة اليهودية (اللاسامية) في أوروبا التي تجذرت بشكل أساس في الاضطهاد النازي لليهود، عززت الحركة الصهيونية مبررات وجود الدولة اليهودية بدوافع أخلاقية وإنسانية، أي وكأنها رد أخلاقي على هذه المجازر النازية، متجاهلة بذلك عدم مسؤولية الفلسطينيين والعرب عن ارتكاب هذه المجازر التي لا تبرر أخلاقياً لا لليهود ارتكاب مجازر مشابهة ضد الفلسطينيين لتجريدهم من وطنهم من جانب، ولا للغرب أيضا هذا الدعم والانحياز الكامل لدولة إسرائيل ولسياساتها العدوانية التوسعية تحت ذرائع أخلاقية أو إنسانية.

الهوامش

1 - ينظر كيث وايتلام (Keith Whitlelam)، اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني (ترجمة سحر الهنيدي)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1999، ص203.

2- Thomas L. Thompson. Early History of the Israelite people from the written & Archaeological sources. Brill. 1992

3 - ينظر كيث وايتلام، م.س. ص15، 271.

4 - المرجع نفسه، ص ص 20-19؛ ينظر أيضا

John J. Mearsheimer & Stephen M.Walt "THE ISRAEL LOBBY AND U.S. FOREIGN POLICY"p8.in: http://ksgnotes1.harvard.edu/Research/wpaper.nsf/rwp/RWP06-011

5 - ينظر بيان نويهض الحوت، فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917) بيروت، دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991، ص ص 23-22

* جاءت تسميتهم ببني (إسرائيل) – من جهة ادعائهم بانتمائهم لإسرائيل الذي هو الاسم الثاني لسيدنا يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، ومعنى إسرائيل: عبد الله، لأن إسر في لغتهم هو: العبد، وإيل هو: الله، وقيل: إن إسرائيل لقب له،.واليهود يدّعون أنهم ينتهون في نسبهم إلى يعقوب أي (إسرائيل).

** نسبة إلى قبيلة بلست(Pelest) من جزيرة كريت(Crete) والفلستيون مصطلح يطلق على القبائل التي استوطنت شاطئ فلسطين(كنعان) الجنوبي الغربي من غزة إلى يافا شمالا، وهم من شعوب البحر (Sea Peoples) الذين جاءوا من بحر أيجه حوالي 1194 ق.م.وقد ذكرتهم المصادر المصرية القديمة حيث أسموهم «بلست»، وكذلك مصادر أشورية حيث أسموهم «بلستو» أو «بالستو». ويقال أن هيرودوت (أبو المؤرخين) هو الذي أطلق على المنطقة التي سيطر عليها الفلستيون اسم «فلستيا» (Philistia).

6 - هناك بعض المصادر تشير إلى تزامن دخول الفلسطينيين أرض كنعان مع قوم موسى، إلا أن بعضها الآخر يشير إلى أسبقية الفلسطينيين. بهذا الخصوص انظر:

Lewis Bayles Paton:The Early History of Syria and Palestine of the 1901ed. Reprint.(U.S.A.:Hyperion Press) pp180-181.1981.

7 - ينظر بيان نويهض الحوت، فلسطين: مرجع سبق ذكره، ص27

8 - ينظر سفر صموئيل الأول (40: 11-1).

*** هو الصندوق الذي صنعه موسى وكان يحتوي على وصايا الله العشر وعصا هارون حسب رواية التوراة.

9 - ينظر سفر صموئيل الأول (29: 11-6).

10 - ينظر بيان نويهض الحوت، م. س. ص39.

11 - أحمد سوسة، العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية(بغداد: دار الحرية للطباعة، مطبعة الحكومة) وزارة الإعلام- مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب الحديثة 41، 1972، المقدمة ص ل- م، ص — ف-

12 - سفر الخروج (21: 2)

13 - سفراللاوين (25: 42، 47- 48)

14 - سورة آل عمران: الآيتان 64 و 66

15 - انظر الرابط الإلكتروني التالي: . http://forum.brg8.com/t37724.html

16 - انظر الرابط الإلكتروني التالي: http://forum.brg8.com/t37724.html
17 - أحمد سوسة، م.س، ص – ص-
18 - المرجع نفسه،ص (ر + ش)
19 - المرجع نفسه، ص15.
* اليهود الذين كانوا في عهد موسى عليه السلام هم قوم من أصل سامي، قيل إنهم سموا باسم «يهودا» أحد أبناء يعقوب «إسرائيل» عليه السلام، فقد كان ليعقوب عليه السلام اثنا عشر ولداً ذكراً من بينهم يهوذا، « الذي عرف أنه جد اليهود «.
20 - المرجع نفسه، ص15؛ مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، 1983، ص7.
21 - المرجع نفسه، ص ص 325-323
22 - من الشعوب التي كانت تتألف منها فلسطين في تلك الفترة في العهد اليوناني هم: الكنعانيون والقبائل العربية، والسامريون والآراميون، واليهود والفلسطينيون وغيرهم من بقايا الأمم التي احتلت فلسطين كالأشوريين والمصريين واليونان والفرس وغيرهم، بهذا الخصوص انظر: مصطفى مراد الدباغ، بلادنا فلسطين، الجزء الأول، القسم الأول، بيروت: دار الطليعة، 1965، ص ص 609-592.
23 - انظر عبد الوهاب الكيالي، تاريخ فلسطين الحديث،، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 10 ،1990 ص15.
24 - المرجع نفسه، ص16.
25 - قارن بيان نويهض الحوت، م. س، ص32؛ عبد الوهاب الكيالي، م.س، ص ص17-16.
26 Arthur Ruppin. Les juifis dans le monde moderne.Paris 1934.p 87
27 Abraham Leon. Judenfrage und Kapitalismus.Muenchen 1971.p3
28 Arthur Ruppin .op.cit..p84
29 - انظر: روجيه غارودي، إسرائيل بين اليهودية والصهيونية(ترجمة: حسين حيدر)، بيروت«دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ط :1، 1990، ص43؛ بيان نويهض الحوت، م. س، ص41.
30 - انظر بيان نويهض الحوت، م.س، ص3.
31 - انظر كيث وايتلام / مرجع سبق ذكره، ص 161
32 - سفر التكوين (13: 15-14).
33 - سفر التكوين (15: 18).
34 - سفر التكوين (17: 8-4).
35 - سفر التكوين (28: 14-13).
36 - سفر التثنية (11: 25-23).
37 - انظر النص الكامل لتصريح غولدامئير في صحيفة لوموند في 5/10/1971.
38 - موشيه دايان، صحيفة جيروزاليم بوست في 10/8/1987.
39 - مناحيم بيغن في صحيفة دافار في 12/12/1978.
40 - من هؤلاء هم: الحاخام المربيرغر والبروفيسور الفرد غيوم أستاذ العهد القديم، والدكتور وليم ستينسبرنغ، والدكتور فرنك ستاغ، والدكتور اوفيد سيليرز، والمطران جونثان شيرمان، بخصوص ذلك ينظر بيان نويهض الحوت، م.س، ص4؛ ينظر أيضاً سامي هدواي، الحصاد المر، فلسطين بين عامي 1979-1914، ترجمة فخري حسين يغمور. عمان: مطبعة التوفيق، 1979 ص ص41-34
41) William F.Stinespring. "Introduction". p. 10. as quoted in M.T. Mehdi. ed.. Palestine and the Bible (New

York: New World Press, 1970, p.10.

42 - سفر التكوين (21: 13-9).

43 - للمزيد ينظر: Shapiro, Harry L. The Jewish people: A Biographical history (UNESCO), 1960), pp. 74-75; living, Branch, The Jewish Identity.Edible by Sidney HoenigFeldheim, Quoted in the Jerusalem post, 14 September, 1966.

44 - ينظر الإحصائية التي قدمها عالم الإنسان المرموق في جامعة المكسيك الوطنية جوان كوماس (Juan Comas) حيث توصل إلى أن من كل مائة زوج حدثت في ألمانيا بين عام (1921-1925) كان هناك (58) زواجاً تم بين يهودي ويهودية و(42) زواجاً مختلطاً. كما تم عام 1926 في مدينة برلين (861) زواجاً طرفاه من اليهود، و(552) زواجاً مختلطاً. ينظر بهذا الخصوص: From a Review of the book "The Jewish Identity, in an article published in Jerusalem post, 14, September 1966 .

حول ذلك بالعربية ينظر سامي هداوي، م. س. ص ص 47-44

45) For a full and revealing study of the khazar Problem to present day Jews see the 13th Tribe, by Arthur Koestler (Random House, 1976- Paperback: popular library, 0-455-04242-7(1978)

46) American council for Judaism ,Issues Magazine,(New York: Winter 1965-1966)pp.21-23

47 - للمزيد عن نظريات الأمة والقومية انظر: ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، سلسلة التراث القومي، الأعمال القومية لساطع الحصري (17)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1985.

48 - للمزيد حول دور وأهمية اللغة وعلاقتها بالتاريخ والقوميين ينظر ساطع الحصري، المرجع السابق،ص ص48-43،ص ص225-209

49 - الاقتباس موجود عند ساطع الحصري، المرجع نفسه، ص211، نقلا عن كتاب هيردر(Herder)، آراء لتكوين فلسفة تاريخ البشرية 179

50 - المرجع نفسه،ص ص280-269

51 - ينظر: يزرئيل ديفيد وايس المتحدث الرسمي باسم جماعة ناطوري كارتا http://www.aljazeera.net/programs/no-limits/articles/2002/5/5-3-1.htm,

ينظر أيضا: http://ar.wikipedia.

52 - ينظر سامي هداوي،م.س، ص ص27-26

53 - سفر التثنية (28: 45-26).

54 - سفر الملوك (11: 12-9).

55 - سفر الملوك الأول (9: 9-6).

56 - بخصوص أسطورة العرق النقي وأسطورة الصحراء، ينظر روجيه غارودي،م. س،، ص ص60-49.

57 Israel Zanqwill,"The Return to Palestine", in New liberal Review, December 1901, p.267.

58 - ينظر روجيه، غارودي، م.س. ص39.

* هناك خلاف بين المؤرخين على تفسير كلمة «كنعان» ومن أين أتت تسمية أرض كنعان، فالبعض قال أنها جاءت من «كنع» أو «خنع» ككلمة سامية معناه الأرض المنخفضة، ولهذا تمت تسميتهم بالكنعانيين لسكانهم الأراضي السهلية إلا أن الأرجح أن التسمية جاءت نسبة إلى الجد الأول كنعان بن حام بن سام بن نوح عليهما السلام.

59) Philip K. Hitti, History of Syria: including Lebanon and Palestine (London: Macmillan, 1951), p. 61.

60) Werner Keller. The bible as History: Historiography the Ancient world and the Origins of Biblical History (New Haven: Yale University Press. 1983. p. 159.

61 - ينظر بيان نويهض الحوت، م.س، ص 51

62) (Werner Keller. The Bible as History: Archaeology Confirms the Book of Books. Translated from the German by William Neil (London:Hooder & Stoughton. 1956) p.187

63 - أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تاريخ الطبري:تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم(القاهرة:دار المعارف، 1960)، الجزء الأول، 214–1/213، ص 203

64 - المصدر نفسه، الجزء الأول، 1/219، ص 207

65 - انظر بيان نويهض الحوت، م.س، ص 20

66 - أبو عبد الله محمد بن عمر الواقدي، «من فتوح الشام» مصر: المطبعة العثمانية المصرية، ط :1، ج :2، 1935، ص13.

67 - ينظر بيان نويهض الحوت، م. س، ص81.

68 - ينظر أبو خلدون، ساطع الحصري، م. س، ص 296.

69 - المرجع نفسه، ص 296.

70 - سفر التكوين 24) :7، 38، 40)؛ (28: 4)؛ (35 :27)؛ (36 :7)؛ (37 :1)؛ (47: 9).

71 - سفر التكوين)21 :34)

72 - سفر التكوين (12: 10)

73 - سفر التكوين 20 :1)

74 - سفر التكوين(23 :4)

75 - سفر التكوين (37: 1)

76 - سفر التكوين(35: 27)

77 - سفر التكوين (35: 23 — 26)

78 - ينظر عبد الوهاب الكيالي، م. س، ص14.

79 - كيث وايتلام، مرجع سبق ذكره، ص 240

80 - ويلز، معالم تاريخ الإنسانية، الترجمة العربية، الكتاب الرابع،ص 279 و 283

81 - المرجع نفسه، ص 297

82 - أحمد سوسة، م .س. ،ص ص (س ع)

83 - المرجع نفسه، ص ص–299 300

84 - بشأن القرى والمدن الكنعانية بفلسطين، راجع مصطفى مراد الدباغ، م. س.، ص.ص. 641–420؛ انظر أيضا أحمد سوسة، م .س.، ص 10

85 - انظر حسن ظاظا، الساميون ولغاتهم» تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، (القاهرة:دار المعارف، 1971)ص ص 54 — 56، انظر أيضا أحمد سوسة، مرجع سبق ذكره، ص ص –183 184

86 - المرجع نفسه، ص ص –183 184

87 - أحمد سوسة، م. س. ص (ب ب)

88 - حزقيال (16: 3)

89 - انظر الآيات في سفر صموئيل الثاني (24: –24 25)

* يزعم اليهود أنه بني فوق جبل موريا وهو جبل بيت المقدس، حيث يوجد الآن المسجدان الأقصى وقبة الصخرة. ويسمي اليهود هذا الجبل بجبل الهيكل، وجاءت قصة بناء سليمان للهيكل في سفر الملوك الأول(إصحاح 5 – 6) وأخبار الأيام.

90 - للمزيد حول الجمعيات والمنظمات اليهودية الإسرائيلية العاملة لهدم المسجد الأقصى وبناء الهيكل المزعوم انظر الرابط الإلكتروني: http://www.3iny3ink.com/forum/t42596.html

** أرمجدون أو هرمجدون هي كلمة جاءت من العبرية هار-مجدون أو جبل مجدو في فلسطين، بحسب المفهوم التوراتي وبعض الطوائف المسيحية هي المعركة الفاصلة بين الخير و الشر أو بين الله و الشيطان و تكون على إثرها نهاية العالم.

91 - انظر صالح حسين سليمان الرقب، «المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث» على الرابط الإلكتروني:

www.iugaza.edu. ps/ara/.../volume10-%20Issue1-%20Islamic%202.pdf

92 - بخصوص هذه المقارنات التي لا تمنح اليهود حقوقاً تاريخية استناداً إلى الاحتلال اليهودي لفلسطين قبل أكثر من ألفي عام، ينظر روجيه غارودي، م.س. ص ص 69-68؛ ينظر أيضاً:

Walter Hollstein, Kein Frieden in Israel, zur Sozialgeschichte des Palaestina-Konflikts, Fulda 1984, p. 20.

93 - قارن كيث وايتلام، م. س. ص240، 242، 247.

94 pp 9-10. op. cit. Stephen M. Walt & Mearsheimer John J.

* كلمة يونانية تعني «حرق القربان بالكامل»وكانت في الأصل مصطلحا دينيا يهوديا يشير إلى القربان الذي يقدم إلى الرب على سبيل التضحية ثم يحرق تماما على المذبح، وهو طقس من أكثر الطقوس قداسة لدى اليهود. وفي العصر الحديث تشير إلى إبادة اليهود على يد النازيين.

95 - ينظر روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية (ترجمة محمد هشام)، ط2، القاهرة: دار الشروق، 1998، ص207.

96 - المرجع نفسه، ص207.

97 Moshe Pearlman, Gespraeche mit Ben Gurion, Muenchen, 1966, p. 195.

98 John J Mearsheimer & Stephen M .Walt, op. cit ,p10

99 Ibid. ,p12

100 Ibid., p10

101 - انظر كيث وايتلام، مرجع سبق ذكره، ص 161

102 - انظر ، وثيقة «الاستقلال» الإسرائيلي في:

Laqueur, W. & Rubin, B. (eds) the Israel and Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, New York: Penguin, (1984) p.,125

103 Ibid.,p13

104 Menachem,Begin, the Revolt , London:W.H.Allen, 1951, p.162 ,

105 (Nahum Goldmann,The Jewish Paradox, trans. Steve Cox) NY: Grossest and Dunlap, 1978), p.99

106 J. Mearsheimer & Stephen M. Walt op.cit.p.10

107 - أفراهام بورغ، «المخاوف والمواقف وأثرها في الصراع في المنطقة» على الموقع الإلكتروني التالي:

http://www.alalam.ir/newspage.asp?newsid=06717012009062215420O&tbl=T2009newstable&action=1

108 - شولاميت ألوني:

http://www.aad-online.org/2005/Hebrew/11-November/29OC-3/29-10/aad8/a7.htm

109 - المرجع نفسه.

110 - انظر نص وثيقة الاستقلال الإسرائيلية على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الموقع الإلكتروني التالي:
www.altawasul.com/MFAAR/important+documents/independence+bill/megilat+haatsmaut.htm

111 J. Mearsheimer & Stephen M. Walt op.cit 26

المراجع العربية:

1 - جارودي، روجيه: الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ترجمة: محمد هشام، القاهرة: دار الشروق، ط :2، 1998

2 - غارودي، روجيه: إسرائيل بين اليهودية والصهيونية، ترجمة: حسين حيدر، بيروت: دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ط :1، 1990

3 - الحصري، ساطع: أبحاث مختارة في القومية العربية، سلسلة التراث القومي، الأعمال القومية لساطع الحصري (17)، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية 1985.

4 - الحوت، بيان نويهض: فلسطين: القضية، الشعب، الحضارة، التاريخ السياسي من عهد الكنعانيين حتى القرن العشرين (1917) بيروت: دار الاستقلال للدراسات والنشر، 1991

5 - دافار، مناحيم بيغن: في 12/12/1978.

6 - دايان، موشيه: جيروزاليم بوست، في 10/8/1987.

7 - الدباغ، مصطفى مراد: بلادنا فلسطين، الجزء الأول، القسم الأول، بيروت: دار الطليعة، 1965.

8 - سفر التثنية

9. سفر التكوين

10 - سفر الخروج (21: 2)

11 - سفر الملوك الأول

12 - سفر حزقيال

13 - سفر صموئيل الأول.

14 - سفر صموئيل الثاني

15 - سفراللاوين

16 - سورة آل عمران

17 - سوسة، أحمد: العرب واليهود في التاريخ: حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الأثرية وزارة الإعلام- مديرية الثقافة العامة، سلسلة الكتب الحديثة 41،بغداد: دار الحرية للطباعة،مطبعة الحكومة 1972

18 - الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: تاريخ الطبري:تاريخ الرسل والملوك»، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة: دار المعارف، الجزء الأول، 1960

19 - ظاظا، حسن: الساميون ولغاتهم»تعريف بالقرابات اللغوية والحضارية للعرب، القاهرة:دار المعارف، 1971

20 - الكيالي، عبد الوهاب: تاريخ فلسطين الحديث،، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: 10 ،1990

21 - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، فلسطين تاريخها وقضيتها، 1983

22 - مئير، غولدا: صحيفة لوموند في 5/10/1971.

23 - هدواي، سامي: الحصاد المر، فلسطين بين عامي 1979-1914، ترجمة فخري حسين يغمور.عمان:مطبعة التوفيق، 1979

24 - هيردر(Herder)، آراء لتكوين فلسفة تاريخ البشرية

25. - الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر: «من فتوح الشام» مصر: المطبعة العثمانية المصرية، ط: 1، ج :2، 1935

26 - وايتلام، كيث: (Keith Whitlelam)، اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني (ترجمة سحر الهنيدي)، الكويت، سلسلة عالم المعرفة، 1999.

27 - ويلز: معالم تاريخ الإنسانية، الترجمة العربية، الكتاب الرابع.

المراجع الأجنبية :

1- American council for Judaism ,Issues Magazine,(New York: Winter 1965-1966.
2- Begin, Menachem: The Revolt, London: W.H.Allen, 1951.
3- Goldmann, Nahum: The Jewish Paradox, trans. Steve Cox, NY: Grossest and Dunlap, 1978.
4- Hitti, Philip K.: History of Syria: including Lebanon and Palestine London: Macmillan, 1951.
5- Hollstein, Walter: Kein Frieden in Israel, zur Sozialgeschichte des Palaestina-Konflikts, Fulda 1984.
6- Keller, Werner: The Bible as History: Archaeology Confirms the Book of Books. Translated from the German by William Neil ,London:Hooder & Stoughton. 1956.
7- Keller, Werner: The bible as History: Historiography the Ancient world and the Origins of Biblical History, New Haven: Yale University Press, 1983.
8- Koestler, Arthur: (Random House, 1976- Paperback: popular library, 0-455-04242-7,1978.
9- Leon, Abraham: Judenfrage und Kapitalismus,Muenchen 1971.
10- Paton, Lewis Bayles: The Early History of Syria and Palestine. of the 1901ed. Reprint . U.S.A.:Hyperion Press. 1981.
11- Pearlman, Moshe: Gespraeche mit Ben Gurion, Muenchen, 1966.
12- Ruppin, Arthur: Les juifis dans le monde moderne.Paris 1934.
13- Shapiro, Harry L.: The Jewish people: A Biographical history (UNESCO). The Jewish Identity Edible by Sidney Hoenig Feldheim. Branch Jerusalem post, 1960, 14 September.
14- Stinespring, William F.: “Introduction”, Palestine and the Bible, New York: New World Press, 1970.
15- Thompson, Thomas L.: Early History of the Israelite people from the written & Archaeological sources, Brill, 1992.
16- W. Laqueur & B. Rubin: (eds) the Israel and Arab Reader: A Documentary History of the Middle East Conflict, New York: Penguin, 1984.
17- Zanqwill, Israel: “The Return to Palestine”, in New liberal Review, December 1901.

مواقع الإنترنت :

1 - بورغ، أفراهام: «المخاوف والمواقف وأثرها في الصراع في المنطقة» على الموقع الإلكتروني التالي: http://www.alalam.ir/newspage.asp?newsid=067170120090622154200&tbl=T2009newstable&action=1

2 - الرقب، صالح حسين سليمان: «المزاعم الصهيونية حول الهيكل الثالث» على الرابط الإلكتروني: www.iugaza.edu.ps/ara/.../volume10-%20Issue1-%20Islamic%202.pdf

3 - وايس، يزرئيل ديفيد: http://www.aljazeera.net/programs/no-limits/articles/2002/5/5-3-1.htm

4 - وثيقة الاستقلال الإسرائيلية على موقع وزارة الخارجية الإسرائيلية على الموقع الإلكتروني التالي:
www.altawasul.com/MFAAR/important+documents/independence+bill/megilat+haatsmaut.htm

5 - ألوني، شولاميت:
http://www.aad-online.org/2005/Hebrew/11-November/29OC-3/29-10/aad8/a7.htm

6- John J. Mearsheimer & Stephen M. Walt “THE ISRAEL LOBBY AND U.S. FOREIGN POLICY”p8,in: http://ksgnotes1.harvard.edu/Research/wpaper.nsf/rwp/RWP06-011.
7- http://ar.wikipedia.org/wiki
8- http://forum.brg8.com/t37724.html
9- http://www.3iny3ink.com/forum/t42596.html